الإسكندرية: صورة من صور المقاومة الفكرية والعسكرية أثناء الغزو الفرنجي "الصليبي" (٥٣٢-٥٨٩هـ/١١٣٧-١١٩٣م)

د. لؤي إبراهيم بواعنة
جامعة البلقاء التطبيقية-الأردن

د. محمد محمود عناقرة
جامعة اليرموك-الأردن

ملخص:

يعالج هذا البحث قضية هامة تعود إلى أواخر الفترة الفاطمية وبداية العهد الأيوبي، تمثلت بالجهود والاستعدادات الفكرية والتعبوية لمواجهة الفكر الشيعي الإسماعيلي في مصر. حيث مثلت الإسكندرية نموذجا للمواجهة والمقاومة بقصد التعبئة الفكرية الجهادية للوقوف في وجه المشروع السياسي للفاطميين والحد من نفوذهم ومن يساندهم من الفرنج ؛الملك عموري الأول في تلك الفترة. وقد أظهر البحث دور مدارس الإسكندرية والقائمين عليها من علماء السنة في ازدهار العلوم الدينية بقصد تمكين الفكر السني وإحيائه أمام الفكر الشيعي الإسماعيلي ومقاومته. فبرزت جهود السلفي وابن عوف وغيرهم.

وكشف البحث عن جهود متنفذي السنة في أواخر العهد الفاطمي مرورا بنور الدين محمود زنكي وصلاح الدين الأيوبي، ويبين البحث أن الإسكندرية كانت موئلا للسنة ومعقلا لها في وجه القاهرة الشيعية أيام الفاطميين، ووقف البحث على مساهماتها في قطع الخطبة للفاطميين قبل غيرها من المدن المصرية ، وصمود أهلها في مقاومتهم مشاريع الفاطميين السياسية ومخططاتهم لإسقاط دولة صلاح الدين. وعرض البحث لثلاثة جوانب هامة للنشاط العسكري بتلك المدينة في مقاومة الفرنج والساسة الفاطميين. منها حصارها عام (٥٦٢هـ/١١٦٦م)، وأسطول صقلية عام (٥٧٠هـ/١١٧٤م) إثر المؤامرة الشيعية ، وثالثها التحصينات العسكرية التي اتخذها صلاح الدين بالإسكندرية تقديرا لدورها حيث ركز على بناء وترميم أسوارها وأبراجها ، وبناء أسطول ضخم قوي أعد لمقاومة المعتدين على المدينة، وختم البحث بتوضيح دور الإسكندرية في تمويل الجبهة الشامية ضد الفرنج.

إحياء الفكر السني والتعبئة الدينية ضد الفرنج في أواخر العهد الفاطمي وبداية العهد الصلاحي في الإسكندرية:

من الطبيعي لنجاح أي عملية سياسية أو عسكرية واستمرارها تجاوز الصعوبات التي تواجهها ، ولابد لها من البناء والاستمرار والتضحية وهذا ما نهجه الزنكيون والأيوبيون. وتعد فترة الغزو الفرنجي (الصليبي) الذي اكتسح الشام، وكانت عيونه متجهة دوما نحو مصر

في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي، مثالا بارزا وواضحا على ذلك: فكان من الضروري لمقاومة هذا الغزو، تذليل الصعاب و رص الصفوف، وتوحيد الجبهات السياسية المبعثرة، والمتصارعة والمذهبية المختلفة، وكان التحدي (الصراع) المذهبي، السني–الشيعي في مصر واحدا منها، حيث كان المذهب الإسماعيلي–المذهب الرسمي–للدولة الفاطمية في مصر، والذي يقوم أصلا على الفكر الإسماعيلي الذي اتسم بالغلبة والسيطرة، فكان للشيعة والمتعصبين للدولة الفاطمية دور سياسي واضح، وكان لهم هيمنتهم ونفوذهم. فكان من الصعوبة اجتثاثه دفعة واحدة إذ لابد من مراحل لمقاومته حتى يؤتي أكله ونجاحه.

مرت عملية إحياء الفكر السني ومقاومة الفكر الشيعي الإسماعيلي في مصر بمراحل متعددة وهامة ، كان من أبرزها وأولاها مسألة التعليم والاهتمام بالمدارس السنية وإنشائها ورعايتها، إذ كان للمذهب الإسماعيلي دورا رئيسيا في الحد من انتشار الفكر السني من خلال مؤسساته الدينية المختلفة، ولهذا وجدت لدى بعض أهل الرأي والسياسة من ذوي النفوذ من أهل السنة في أواخر عهد الدولة الفاطمية محاولات جادة لنشر الفكر السني وإحيائه إزاء هذا الفكر الإسماعيلي والتصدي له عسى أن يكون له أثر سياسي في المستقبل القريب، وقد انصبت تلك الجهود بداية في فترة سبقت دخول الأمير صلاح الدين يوسف الأيوبي لمصر عام ٥٦٢هـ/١١٦٧م وبداية نشاطه السياسي والعسكري فيها وقيامه بقطع الخطبة للعلويين وإقامتها للعباسيين عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)[١] .

كانت مرحلة قطع الخطبة مرحلة متقدمة سبقها مراحل هامة تمثلت بالتركيز على التعليم والتي ترجع للعقد الرابع من القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي وتمثلت بإنشاء مدرستان هامتان لإحياء الفكر السني والاهتمام به في تلك الفترة الحرجة وهما: الحافظية أو المسماة بالعوفية وذلك عام (٥٣٢هـ/١١٣٧م)، والتي تعود تسميتها بهذا الاسم نسبة للخليفة الفاطمي آنذاك الحافظ لدين الله إذ أنشئت في عهده فحملت اسمه، أما تسميتها بالعوفية فتعود

---

[١] عن هذه الخطوة المتمثلة بقطع الخطبة للخليفة الفاطمي العاضد، وإعلانها للخليفة العباسي المستضيء. انظر ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، الكامل في التاريخ، ١٢ مج، دار صادر، بيروت، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٦م، مج١١، ص٣٦٨-٣٦٩، سبط ابن الجوزي، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي، (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط١، ج٨، ق١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٥١-١٩٥٢م، ص٢٨٥، حيث أشار سبط ابن الجوزي إلى أن قطع الخطبة للعباسيين بمصر استمر مائتي سنة وثماني سنين. وعن قطع الخطبة للفاطميين. انظر السيد، أحمد فؤاد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب ٥٦٧-٦٤٨هـ، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م، ٩٣-٩٧.

نسبة لشيخها والقائم على أمرها العلامة الحافظ والفقيه أبا الطاهر بن عوف (ت٥٨١هـ/١١٨٥م)[٢] .

وقد أسست هذه المدرسة على يد وزير الخليفة الفاطمي الحافظ لدين الله (ت٥٤٤هـ/١١٤٩م)، رضوان بن الولخشي[٣] الذي كان سنيا، شافعيا، معروفا بحسن اعتقاده، وشجاعته وبأسه[٤] فكان تأسيسه لهذه المدرسة إسهاما ودعما مميزا للمذهب السني، إذ كانت هذه المدرسة أول مدرسة تنشأ في مدينة الإسكندرية بل في مصر في تلك الفترة لدعم المذهب السني[٥] ومما زاد من أهميتها وقوة تأثيرها الشخصية البارزة التي أسندت المدرسة إليه وهو الفقيه ابن عوف الزهري الذي كان شيخا للمالكية بمصر طوال القرن السادس الهجري.

أما المدرسة الثانية التي أنشئت لنفس الغرض في الإسكندرية فهي العادلية والتي كان إنشاؤها على يد الملك العادل، علي بن السلار[٦] وزير الخليفة الفاطمي الظافر آنذاك، وذلك في عام (٥٤٤هـ/١١٤٩م)، وقد سميت هذه المدرسة بالعادلية نسبة للملك العادل الذي عرف

---

[٢] هو إسماعيل بن مكي بن إسماعيل بن عيسى بن عوف الذي يتصل نسبه بعبد الرحمن بن عوف، القرشي الزهري الإسكندراني، كان فقيها مالكيا، ولد سنة (٤٨٥هـ/١٠٩٢م) تفقه على أبي بكر الطرطوشي وغيره، وكتب عنه الحافظ أبو طاهر بن سلفه وحدث عنه، الحافظ عبد الغني المقدسي وغيره، توفي عام (٥٨١هـ/١١٨٥م). انظر الذهبي، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت١٧٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، ١٥ج، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م، مج١٢، سنة ٥٧١-٦١٠هـ، ص١٩٣.

[٣] ولد رضوان عام (٤٨٩هـ/١٠٩٦م) وأول ولاية وليها كانت قوص وإخميم عام (٥٢٨هـ/١١٣٣م) كانت وفاته عام (٥٤٢هـ/١١٤٧م). انظر ابن ميسر، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب، (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، المنتقى من أخبار مصر، انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، د. ط، حققه ووضع حواشيه وفهارسه أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م، ص١٣٧-١٣٨.

[٤] المصدر نفسه، ص١٣٨.

[٥] المصدر نفسه، ص١٣٠.

[٦] أبو الحسن علي بن السلار المنعوت بالملك العادل سيف الدين، عرف بالسلار، كان كرديا وكانت وزارته عام (٥٤٣هـ/١١٤٨م)، ويظهر أنه كان مقيما بالإسكندرية قبل وصوله للقاهرة طالبا الوزارة من ابن مصال، كان مقداما، شهما، عمر بالقاهرة مساجد، وكان ظاهر التسنن (مذهب السنة) شافعي المذهب، قتل عام ٥٤٨هـ/١١٥٣م. انظر ابن خلكان، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤مج، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م، ج٢، ص١٩٨-١٩٩؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١١، ص٤٩١-٤٩٢.

عنه ميله لأهل العلم والصلاح، إذ كان سنيا، شافعيا، وكان له جهود مضنية في تمكين المذهي السني في مصر إبان حكم الفاطميين، فأثناء وجوده بالإسكندرية نزلها الحافظ أبو طاهر السلفي[٧] وبعد إقامته فيها احتفل به الملك العادل وأكرمه وعمر له مدرسة وفوض تدريسها إليه، إذ كان من كبار علماء الشافعية بالإسكندرية، وتأتي أهمية هذه المدرسة في هذا الوقت لأنه لم يكن بثغر الإسكندرية مدرسة شافعية غيرها[٨] كما تعارف البعض على تسمية هذه المدرسة (بالسيفية) نسبة للإمام السلفي نفسه، وقد تخصصت بالحديث والفقه الشافعي، وقد أسهم السلفي بعلمه ومدرسته في تلك الفترة إسهاما عظيما في تعبئة أهل الإسكندرية وغيرها من بلاد الشام، فقد عد من كبار قادة الإحياء الجهادي في الإسكندرية، وكان قريبا من أهل الإسكندرية بكافة فئاتها يختلط بهم في كل مكان، فيعظهم ويحرضهم على الجهاد في سبيل الله بالآيات القرآنية وقراءة الأحاديث وغيرها[٩]. كما امتاز السلفي بشهرته الواسعة إذ كان الناس يقصدونه من الأماكن البعيدة لينهلوا من علمه ويسمعوا عليه ولم يكن في آخر عمره في عصره مثله فكان أوحد زمانه في علم الحديث، فقد تتلمذ على يديه كبار العلماء ورجالات

---

[٧] هو الحافظ أبو الطاهر أحمد بن محمد بن أحمد بن إبراهيم بن سلفة الأصبهاني، وسلفة لقب أحمد إليه ينسب، عمل معجما لشيوخ بغداد، ولشيوخه الأصبهانيين، وله معجم السفر المشتمل على ألفي شيخ، رحل في طلب الحديث، وطاف البلدان فسمع بالمدينة وبمكة وبغداد، والبصرة والجزيرة الفراتية ودمشق، وغيرها، واستوطن في النهاية بالإسكندرية عام (٥١١هـ/١١١٧م) حتى وفاته فيها عام ٥٧٦هـ/١١٨٠م عن عمر يناهز الـ مائة عام. وكان إماما، مقرءا، محدثا حافظا، وفقيها، ونحويا ماهرا لغويا، حجة، ثبتا، روى عنه العديد من العلماء. ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج١، ص٦٠-٦١؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٢، سنة ٥٧١-٦١٠هـ، ص٨١-٨٧؛ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، السلوك لمعرفة دول الملوك، دار الكتب المصرية، ١٩٣٤م، ج١، ق١، ص٧١.

[٨] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص١٩٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١١، ص٤٩٢؛ الصفدي، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، ٢٤مج، تحقيق أبو عبد الله جلال الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠م، مج١٧، ص٩٨-٩٩؛ ٨٠-٨٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ص٣٦١-٣٦٢. ولمزيد من التفاصيل عن أهمية هذه المدرسة ودور السلفي انظر الشيال، جمال الدين، أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مج١١، مصر، ١٩٥٧م، ص١٢-١٣.

[٩] الدجاني، هادية، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني ٥٢٦-٥٩٦هـ/١١٣١-١١٩٩م، ط٢، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٩م، ص٧٠؛ الشيال، جمال الدين، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مصر، ١٩٦٥م، ص١٣٧-١٥٤.

الدولة في أيام نور الدين محمود وصلاح الدين الأيوبي ومنهم القاضي ضياء الدين الشهرزوري–قاضي دمشق والموصل من بعدها–فقد سمع الحديث على يديه[١٠].

كان لهاتين المدرستين في الإسكندرية دور واضح في الحفاظ على التراث السني في مصر الفاطمية، كما كان لهما أهمية فكرية ودور جهادي واضحان تمثل بتصدر عدد من علمائها وخريجيها للدولة الفاطمية والفرنج أثناء حصارهما للإسكندرية عام (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، بتصديهم لهما، بالحشد والتحريض والمقاومة[١١]، وهذا يثبت أهمية حركة إحياء الفكر السني التي شهدتها الإسكندرية ودورها في مقاومة الفكر الشيعي الإسماعيلي من مصر وذلك تمهيدا للوحدة الإسلامية بداية وتمكينها من مقاومة الغزاة الفرنج ودحرهم عن البلاد نهائيا.

ومما تجدر الإشارة إليه ما حظيت به الإسكندرية في أواخر العهد الفاطمي وتحديدا في العقدين الرابع والخامس من القرن السادس الهجري–وربما قبلها–من أهمية بالغة إذ كانت مركزا للحركة السنية الفكرية ومعقلا لأهل السنة إذ يغلب على أهلها التسنن (السنة)، أي مركزا للمعارضة الدينية والسياسية للفاطميين في القاهرة[١٢]، وثغرا مهما زادت أهميته الدفاعية بعد سقوط عسقلان عام (٥٤٨هـ/١١٥٣م)[١٣]، وهجرة أهلها إليه ومنهم القاضي

---

[١٠] ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج١، ص٦٠، ج٢، ص٣٤٧؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٢، سنة ٥٧١–٦١٠هـ، ص٨٤.

[١١] المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، المواعظ والاعتبار بذكر الخطط المقريزية والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٤ج، ط١، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م، ج٣، ص٣٢٣–٣٢٤.

[١٢] أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، ٤ ج، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ج٢، ص١٩٠–١٩١. انظر أيضا الدجاني، القاضي الفاضل البيساني العسقلاني، ص٦٩–٧٠؛ بدوي، عبد المجيد أبو الفتوح، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، ط٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨م، ص٢٣٨؛ الشيال، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، ص١٣١. وقد جاء في رسالة من القاضي الفاضل لنور الدين محمود يبين فيها حال أهل الإسكندرية وتعصبهم للسنة بقوله: "ومما يطرف به المولى أن ثغر الأسكندرية على عموم مذهب السنة فيه...". أبو شامة، الروضتين، مج٢، ص١٩٠.

[١٣] سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ص٢١٥؛ أبو الفدا، المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٣٨؛ الشيال ، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، ص١٣١.

الفاضل البيساني[١٤] وزير السلطان صلاح الدين فيما بعد، فكانت مركزا جهاديا تعبأت فيها كل القوى العسكرية والسياسية والفكرية للدفاع عنها يضاف لذلك كله زيادة أهميتها الفكرية والتعليمية نتيجة هجرة المغاربة المالكيين إليها، إذ استقروا فيها وبنو فيها المدارس التي بثوا بواسطتها تعاليم السنة وروح الجهاد، فكان على رأسهم الفقيه المالكي أبو بكر الطرطوشي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)[١٥] مؤسس أول مدرسة سنية فيها نحو عام (٥١١هـ/١١١٧م)، فكان له نشاطات وأدوار متعددة في التعليم تراوحت بين المسجد والمدرسة، والتحريض، ومقاومة الفكر الشيعي، وتنقيته من البدع كما تخرج على يديه الكثير من العلماء والفقهاء، كان منهم ابن عوف (ت ٥٨١هـ/١١٨٥م) فكان لذلك كله أثره في إعداد أهلها وتعبئتهم تعبئة فكرية وشحنهم جهاديا ضد الغزاة[١٦].

ومما يمكن إضافته أو الإشارة إليه في سياق الحديث عن مساهمات أهل الإسكندرية في تدعيم المذهب السني والقائمين عليه سياسيا وتصديهم للقائمين سياسيا على الفكر الشعي والمتعاونين معهم كالفرنج ما حدث في مصر إثر مسير أمراء الملك نور الدين محمود زنكي لها لأكثر من مرة نجدة لبعض أطرافها إثر خلافات بين وزرائها وطلبهم الدعم والنصرة منه، حيث توجه الأمير أسد الدين شيركوه للإسكندرية في المرة الثانية إثر مواجهاته مع الوزير

---

[١٤] أبو علي عبد الرحيم بن القاضي الأشرف بهاء الدين أبي علي المجد علي بن القاضي السعيد اللخمي العسقلاني المولد المصري الدار، المعروف بالقاضي الفاضل، الملقب بمجير الدين وزير السلطان الملك الناصر صلاح الدين، برز في صناعة الإنشاء، ولد سنة ٥٢٩هـ/١١٣٤م بعسقلان، وكان أبوه قاضي بيسان، وانتقل لثغر الإسكندرية وعمل بها وأقام مدة وتوفي بالقاهرة عام ٥٩٦هـ/١١٩٩م. انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص٧٦-٧٨؛ الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٢، سنة ٥٧١-٦١٠هـ، ص٤٤١-٤٤٥.

[١٥] الطرطوشي: أبو بكر محمد بن الوليد بن خلف القرشي الفهري الأندلسي الطرطوشي، فقيه مالكي زاهد، معروف بابن أبي زندقة، أخذ بعض العلوم الشرعية بالأندلس ثم انتقل للمشرق سنة (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) طاف بلدان كثيرة، كان عالما، زاهدا، دينا ورعا، صنف كتبا كثيرة منها: "سراج الهدى"، و "سراج الملوك"، وكان له طريقة في الخلاف، توفي بثغر الإسكندرية عام (٥٢٠هـ/١١٢٦م). انظر ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص٣٥٥-٣٥٧؛ المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، تاريخ المقريزي المسمى المقفى الكبير، ط١، ٦مج، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م، مج١، ص٤٤٢-٤٤٨.

[١٦] الدجاني، القاضي الفاضل البيساني العسقلاني، ص٦٩-٧٠. للمزيد من التفاصيل عن دورالطرطوشي انظر الشيال، أعلام الاسكندرية في العصر الإسلامي، ص٥٠-١٠٠؛ يوسف، نقولا، أعلام من الإسكندرية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩م، ص١٤٨-١٥٣.

شاور والملك الفرنجي عموري الأول[١٧] من الصعيد، حيث وقف أهل الإسكندرية إلى جانبه ودعموه بكل طاقاتهم، وقد فسر أحد الباحثين أساس التحالف بين الأمير شيركوه والأمير صلاح الدين يوسف وأهل الإسكندرية بأنه عائد لميلهم للمذهب السني الذي يعتنقه شيركوه وصلاح الدين، وكرههم شاور الذي يدين بالمذهب الشيعي، وهذا ما عبر عنه ابن واصل بقوله: "لميلهم إلى مذهب السنة وكراهيتهم لرأي المصريين"[١٨].

هذا وقد انفرد أحد المؤرخين في رواية له أشار فيها أن أهل الإسكندرية كان لهم فضل السبق دون غيرهم من بلدان مصر في قطعهم الخطبة للفاطميين وإعلانها للعباسيين عام (٥٦٧هـ/١١٧١م) مخالفا بذلك معظم الروايات التي تشير أن قطعها كان في الفسطاط ثم باقي أنحاء مصر من بعدها[١٩]، حيث انفرد العماد الأصفهاني بقوله: "وصل الخبر بالخطبة

---

[١٧] يرد اسمه في بعض المصادر العربية كأبي شامة باسم الملك مُرِّي ملك الفرنج، انظر أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٦٥. المقريزي، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ج، تحقيق محمد حلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، القاهرة، ١٩٧٣م، ج٣، ص٢٨٢. ويرد عند وليم الصوري باسم الملك عموري الأول. حيث ورث العرش بعد وفاة أخيه الملك بلدوين الثالث الملك اللاتيني الرابع للقدس. انظر وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ٦ج، ط١، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار الفكر، دار نوبليس، دمشق، ١٩٩١م، ج٥، ص٨٧٨-٨٧٩. وهو الملك اللاتيني أملريك كونت يافا وعسقلان الذي ورث الحكم بعد وفاة أخيه الملك بلدوين الثالث ١١٦٢م. رنسيمان، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ط٣، ٣ مج، نقله للعربية السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٣م، مج ٢، ص٥٨٥.

[١٨] ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ج، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، د. ن، الإسكندرية، ١٩٦٠م، ج٢، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص١٥١؛ عمران، محمود سعيد، حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، ضمن أعمال ندوة بعنوان سواحل مصر الشمالية عبر العصور والتي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب، جامعة الإسكندرية في يومي ٢٢ و٢٣ أبريل ١٩٩٨م، إعداد عبد العظيم رمضان، طبع النهضة المصرية العامة للكتاب، مصر، ٢٠٠١م، ص١٤٦؛ ابن واصل، جمال الدين محمد بن سالم، (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ج، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، د. ن، الإسكندرية، ١٩٦٠م، ج٢، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ج١، ص١٥١.

[١٩] أشارت الروايات لتردد صلاح الدين الأيوبي في قطع الخطبة للفاطميين بداية لأسباب عدة منها خوفه من ردة فعل المصريين، أو لخوفه من نور الدين محمود وأخذه مصر منه إن قطع الخطبة حتى تجاسر رجل أعجمي من الموصل يقال له الأمير العالم وهو نجم الدين الخبوشاني الفقيه الشافعي، فقام قبل الخطيب في الجمعة الأولى من محرم من عام ٥٦٧هـ/١١٧١م ودعا للمستضيء بأمر الله وقطع الخطبة للعاضد ولم ينكر عليه أحد ذلك، فلما كانت الجمعة الثانية من محرم، أمر صلاح الدين الخطباء بمصر والقاهرة أن يقطعوا

في الإسكندرية يوم الجمعة سابع شهر رمضان، وفي مصر والقاهرة يوم الجمعة ثامن عشري رمضان، لمولانا الإمام المستضيء، بأمر الله أمير المؤمنين، وإشاعة شعار بني العباس بها فقلت، ونحن نزول بجسر الخشب من دمشق في عاشر شوال، وكتبت بها إلى بغداد"[٢٠]. ويؤيد أحد الباحثين هذه الرواية بالإشارة أنه ليس بالأمر الغريب أن يكون أهل الإسكندرية أول من يرحب بالقضاء على الدولة الفاطمية خاصة بعد أن اتخذ صلاح الدين لهذا الإجراء عدته[٢١]، قاصدا بذلك وقوفه إلى جانبهم والدفاع عنهم بعد انتهاء حصار الإسكندرية أمام عزم الوزير شاور القيام بمعاقبتهم[٢٢]. وهذا مدعاة للقول إنه إن صحت رواية العماد الأصفهاني السالفة بالنسبة لأهل الإسكندرية فإن لها دلالتها السياسية والفكرية الهامة والمتمثلة بجهدهم في تمكين المذهب السني، وهذا بدوره يجعل لها خصوصية مذهبية، كما يؤكد دورها الهام في مقاومة الفكر الشيعي والغزاة الفرنج المتعاونين معهم.

على الرغم من الجهود المبذولة من بعض القادة السياسيين المؤيدين للمذهب السني في أيام الدولة الفاطمية وكذلك العلماء من محدثين وفقهاء وقراء في، تدعيم المذهب السني وإحيائه، ومحاولتهم القضاء على الفكر الشيعي في مصر، إلا إنه وجدت عدة حركات معارضة للسلطان صلاح الدين الأيوبي مؤيدة للفاطميين ودولتهم حتى بعد إعلان الخطبة للعباسيين وقطعها للفاطميين عام (٥٦٧هـ/١١٧١م)، ومطاردة المؤيدين لهم . وتمثلت تلك الحركات بقيام المؤامرة الشيعية على السلطان صلاح الدين الأيوبي عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) بالقاهرة على يد الشاعر عمارة اليمني ومؤيدي الدولة الفاطمية بقصد إعادة دولتهم، ومع ذلك تمكن السلطان من إخماد حركتهم[٢٣] ولم تمض أيام حتى اشتعلت ثورة شيعية أخرى في ثغر

خطبة العاضد ويخطبوا للمستضيء، فلم ينتطح عنزان، وقيل أن الذي قطع الخطبة عالم اسمه محمد بن المحسن البعلبكي. انظر ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص ٣٦٨-٣٦٩؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٢٣-١٢٤؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ص٤١٤؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ج٢، ص٣٤٥-٣٤٦.

[٢٠] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٣٥.

[٢١] الشيال، جمال الدين، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م، ص٥٩-٦٠.

[٢٢] أبوشامة، الروضتين، ج٢، ٦٦.

[٢٣] يقول المقريزي، وفيها اجتمع طائفة من أهل القاهرة على إقامة رجل من أولاد العاضد، وأن يفتكوا بصلاح الدين، وكاتبوا الفرنج ومنهم: القاضي المفضل ضياء الدين نصر الله بن كامل القاضي، والشريف الجليسي، والفقيه عمارة اليمني، وعبد الصمد الكاتب، وداعي الدعاة وغيرهم. انظر: المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٣-٥٤؛ انظر أيضا، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٨٥-١٨٩.

الإسكندرية على الرغم من غلبة المذهب السني عليها طوال العهد الفاطمي وكان ذلك في رمضان من عام (٥٦٩هـ/١١٧٣م) على يد رجل يقال له قديد، وهو من دعاة الفاطميين، وقد كان ذلك موضع استغراب السلطان صلاح الدين واندهاشه[٢٤] وربما ذلك متأت من غلبة المذهب السني عليها.

وقد كشف السلطان صلاح الدين الأيوبي في رسالة له بقلم القاضي الفاضل إلى الملك نور الدين محمود زنكي يشرح فيها، حقيقة هذا الشخص وكفره، واستخفافه بعقول متبعيه، ويحمد الله في النهاية على تمكنه منه والقبض عليه بقوله في تلك الرسالة: "ومما يطرف المولى به أن ثغر الإسكندرية–على عموم مذهب السنة فيه–أطلع البحث أن فيه داعية خبيثا أمره، محتقرا شخصه، عظيما كفره، يسمى قديد القفاص، وأن المذكور مع خموله في الديار المصرية قد فشت في الشام دعوته، وطبقت عقول أهل مصر فتنته، وأن أرباب المعايش فيه يحملون إليه جزءا من كسبهم والنسوان يبعثن إليه شطرا وافيا من أموالهن، ووجدت في منزله بالإسكندرية عند القبض له والهجم عليه، كتبا مجردة فيها خلع العذار، وصريح الكفر الذي ما عنه اعتذار، ورقاع يخاطب بها، فيها ما تقشعر منه الجلود، وكان يدعي النسب إلى أهل القصر...وأنه خرج منه طفلا صغيرا ونشأ على الضلالة كبيرا، وبالجملة فقد كفى الإسلام أمره، حاق به مكره، وصرعه كفره..." [٢٥].

وقد كان للعلوم الدينية كالحديث والقرآن الكريم وتفسيره، والفقه في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي دور كبير في التعبئة للجهاد، إبان الغزو الفرنجي (الصليبي) لمصر وبلاد الشام، إذ شكلت تلك العلوم جزءا من ثقافة ذلك العصر، وتمثل ذلك بكثرة العلماء وإقبالهم على تلك العلوم وسعيهم للحصول عليها وقد كانت الإسكندرية موئلا وقبلة لكثير من المحدثين الفقهاء سواء من الشرق أو الغرب[٢٦]. وتعددت مصنفاتهم في تلك العلوم

---

[٢٤] ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص٢٥٠؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٤؛ سيد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب، ص٧٥.

[٢٥] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص١٩٠. انظر أيضا الرسالة موجودة في ملاحق ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٢٧٦–٢٧٩.

[٢٦] انظر: أبو شامة، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط١، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ج٥، ص٦–٧؛ سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ص٢١٩–٢٢٠، ٣٤٠، ٣٣٦–٣٣٧، ٣٦١–٣٦٢. وانظر: هجرة الفقيه أبوبكر الطرطوشي (ت ٥٢٠هـ/ ١١٢٦م) من طرطوشة ببلاد المغرب للاسكندرية. المقريزي، المقفى الكبير، مج٦، ص٤٤٢–٤٤٨؛ الشيال ، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي ، ص١٣٠–١٣١.

خدمة للأمة، وأهدافها التعبوية والفكرية والجهادية في ذلك الظرف الصعب والملح لتلك العلوم[٢٧].

هذا وتعددت عوامل ازدهار تلك العلوم الدينية في تلك الفترة الهامة كالصراع مع الشيعة من جهة والرغبة في مواجهة الفرنج من جهة أخرى[٢٨] يضاف إليها ما لاقته تلك العلوم من تشجيع واهتمام من الحكام المسلمين أنفسهم في ذلك الوقت وتمثل ذلك بطرق عدة كتقريبهم العلماء واحترامهم والإنفاق عليهم[٢٩] وقد كان لعلماء الإسكندرية في عهد صلاح الدين الأيوبي الحظ الأوفر وتمثل ذلك إثر زيارته لها عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م حيث أمر بوقف ما صادرمن الفرنج على الفقهاء بالإسكندرية[٣٠] كما شكل إنشاء المدارس ودور الحديث عاملا

---

[٢٧] انظر: كتاب فضائل الجهاد للمحدث ضياء الدين الحنبلي، وكتاب تحفة الطالبين في الجهاد والمجاهدين للمحدث عبد الغني المقدسي وكذلك الإنجاد في الجهاد للواعظ عبد الرحمن بن نجم الدين الشيرازي المعروف بناصح الدين الحنبلي. وانظر: ابن رجب، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب، (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، د. ط، ٢ج، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٢م، ج٢، ص٨، ١٩٦، ٢٣٩، انظر: كذلك الكتب الخاصة بالمدن ومنها كتاب تاريخ مدينة دمشق لابن عساكر، لما كان لدمشق من دور في مقاومة الغزو الفرنجي، حيث عالج الكتاب فضائل الشام، ودون أخبار العلماء والمثقفين، ومن قدم دمشق. وانظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، د. ط، مج١، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥١م، ص٤ (مقدمة المحقق صلاح الدين المنجد).

[٢٨] انظر: الكيلاني، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٥، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٨م، ص١٩٤، ٢١٣،، ٢٨٣-٢٨٤؛ البواعنة، لؤي، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي ٤٩٠-٦٤٨هـ/١٠٩٧-١٢٥٠م، ط١، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م، ص٧٧-٨٩؛ بدوي، التاريخ السياسي والفكري، ص٢١٢، ٢٢٣، ٢٤٤-٢٤٦.

[٢٩] كان الشيوخ والعلماء يحضرون عند نور الدين محمود زنكي وكان يقربهم إليه ويتواضع معهم ويحترمهم، وكان الأمراء يحسدون الفقيه الشافعي قطب الدين النيسابوري لقربه من نور الدين واحترامه له. انظر: ابن الأثير، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، د. ط، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م، ص١٧١. وعن زيارات نور الدين محمود للعلماء انظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ص٣١٤.

[٣٠] المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٦٣، ولعل المقصود صادر الفرنج أي الضريبة التي كانت تفرض على تجار الفرنج الواصلين بالمتاجرة من بلادهم إلى ثغر الإسكندرية. (المحقق).

مهما من عوامل اهتمام القادة بتلك العلوم[٣١] حتى وصل الأمر رغبة القادة أنفسهم بتعلم تلك العلوم وإقبالهم عليها بأنفسهم فكانوا حريصين كل الحرص على التزود بالثقافة الدينية لتأهيلهم لقيادة هذه الحركة الجهادية ضد الفرنج[٣٢].

وقد برز اهتمام الزنكيين والأيوبيين من بعدهم بالحديث النبوي الشريف بشكل واضح بقصد التعبئة الفكرية للجهاد ضد الفرنج، إذ طلب نور الدين محمود من ابن عساكر (ت٥٧١هـ/١١٧٦م) تأليف كتاب يحث المجاهدين على الجهاد في سبيل الله، فألف له كتابا أسماه أربعون حديثا في الحث على الجهاد[٣٣] كما نهج السلطان صلاح الدين الأيوبي من بعده النهج نفسه وقد عكست علاقته بالقاضي بهاء الدين بن شداد مستشاره وقاضي عسكره ذلك إذ وضع له مؤلفا خاصا بأحاديث الجهاد[٣٤].

---

[٣١] عن بناء نور الدين محمود زنكي للمدارس في حلب وحماة ودمشق للشافعية والحنفية، وإنشائه لدور الحديث وبناء الربط والخانقاهات في جميع البلاد للصوفية، ووقفه الوقف عليهم. انظر ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٧٠-١٧٣، Elisseeff, Nikta, *Damas a-et le djihad contre les Croises* (Damas) serie Mon De-H. S. N 65-Janvier, Paris, Les Edition Autrement, 1993, pp. 42-43.

انظر: أيضا بناء السلطان صلاح الدين للمدرسة الصلاحية للشافعية، ومدرسة للمالكية عام ٥٦٦هـ/١١٧٠م وانظر: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ٨ج، ق١، ص٢٨٣، المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ٣١٤، السبكي، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي، (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط١، ٨ج، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤م، ج٧، ص٣٥٦، وعن مدارس الإسكندرية والتعليم فيها وإيواء الغرباء والإنفاق عليهم فيها واهتمام السلطان صلاح الدين بها. انظر: ابن جبير، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني، (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، د. ط، دار صادر، بيروت، د. ت، ص١٥-١٧.

[٣٢] أشار ابن الأثير أن نور الدين محمود زنكي كان عارفا بالفقه على مذهب أبي حنيفة، كما سمع الحديث وأسمعه طلبا للأجر. انظر ابن الأثير، التاريخ الباهر، ص١٦٥. كما نعته سبط ابن الجوزي بالعالم الورع، كما كان عاكفا على قراءة القرآن. انظر سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ص٣٠٥-٣٠٦، ٣٢٢. أما صلاح الدين فقد كان يحب سماع القرآن الكريم وكان يستقرئ من يحضره في الليل، وكان يسمع وشديد الرغبة في سماع الحديث وتردد على الحافظ السلفي الأصبهاني بالإسكندرية، وروى عنه أحاديث كثيرة. كما كان يحب أن يقرأ الحديث بنفسه. انظر ابن ابن شداد، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم، (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، القاهرة، ١٩٦٤م، ص٩، ١٣.

[٣٣] انظر: ابن عساكر، أبو القاسم علي بن الحسين، (ت٥٧١هـ/١١٧٦م)، أربعون حديثا في الجهاد، تحقيق أحمد عبد الكريم حلواني، دار الفداء للدراسات، دمشق، ١٩٩١م، ص١٠٧-١٠٨، ١٠٨-١٤٠.

[٣٤] يقول القاضي ابن شداد عن صلاح الدين: "أنه كان الرجل إذا أراد أن يتقرب إليه يحثه على الجهاد أو يذكر شيئا من أخبار الجهاد، وقد ألف كتبا عدة في الجهاد وأنا من جمع له كتابا، جمعت فيه من آدابه، وكل آية

وقد حمل سماع الحديث النبوي في العصر الأيوبي عامة ومن قبل السلطان صلاح الدين الأيوبي خاصة أهمية بالغة إذ كان له لون وشكل مناسب لزمانه وظرفه، فكان سماعه محفزا لغيره للاهتمام به والإقبال عليه، كما شكل جزءا من تعبئة الناس للجهاد حيث المواجهة مع الفرنج . فحرص صلاح الدين كل الحرص على زيارة الإسكندرية فكان لها الشرف أن استقبلته مرتين للسماع، ولمتابعة باقي نواحيها واحتياجاتها، واستعداداتها، فكانت زيارته الأولى لها عام ٥٧٢هـ/١١٧٦م في شعبان من ذلك العام ومعه ولداه الأفضل علي[٣٥]، والعزيز عثمان[٣٦]، فصام رمضان، وسمع الحديث على الحافظ أبي الطاهر السلفي ثم عاد للقاهرة وأكمل صيامه فيها[٣٧]. وزاد العماد الأصفهاني في روايته على ذلك بالإشارة إلى كثرة تردد السلطان ومن برفقته للسماع من العلامة السلفي حتى وصلت لمدة ثلاثة أيام لقوله: "ثم وصلنا إلى ثغر الإسكندرية، وترددنا مع السلطان إلى الشيخ الحافظ أبي طاهر أحمد بن محمد السلفي، وداومنا الحضور عنده، واجتلينا من وجهه نور الإيمان وسعده، وسمعنا عليه ثلاثة أيام الخميس والجمعة والسبت رابع شهر رمضان، واغتنمنا الزمان فتلك الأيام الثلاثة هي التي حسبناها من العمر، فهي آخر ما اجتمعنا به في ذلك الثغر"[٣٨]. ولعل في هذه الرواية أهمية بالغة إذ تعكس الفائدة الجليلة التي تحققت للجميع، حتى عدت من أفضل أيام العمر، كما عكست مدى اهتمام السلطان بالسماع وتربية أبنائه على ذلك وهذا يعكس نهجا وسياسة هدف إليها.

أما زيارة السماع الثانية فكانت عام ٥٧٧هـ/١١٨١م عند الشيخ أبي طاهر بن عوف وكان برفقته العماد الأصفهاني وأبناؤه وبناته لقول العماد: "وقال السلطان نغتنم حياة الشيخ الإمام أبي طاهر بن عوف فحضرنا عنده، وسمعنا عليه موطأ مالك رضي الله عنه، بروايته

وردت فيه، وكل حديث روى في فضله، وشرحت غريبها، وكان رحمه الله كثيرا ما يطالعه...". انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٢١.

[٣٥] هو أبو الحسن علي الملك الافضل نور الدين ولد بمصر عام (٥٦٥هـ/١١٧٠م). انظر: الأصفهاني، عماد الدين الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، البرق الشامي، ٢ج، ط١، ج٣، تحقيق مصطفى الحياري، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، ١٩٨٧م، ص٧٦.

[٣٦] هو الملك العزيز عماد الدين أبو الفتح عثمان ولد بمصر عام (٥٦٨هـ/١١٧٢م) وتوفي في عام (٥٩٥هـ/١١٩٩م). العماد الاصفهاني ، البرق الشامي، ج٣، ص٧٧.

[٣٧] المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٦٣.

[٣٨] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٩٣-٢٩٤. وقيل إن السلطان أكل عنده طعاما ثم بعث إليه مبلغا من المال فقبله. المقريزي، المقفى الكبير، مج٢، ص٧. أما ابن واصل فقد أشار أن السلطان استصحب أولاده لإسماعهم الحديث ولكي تعمهم البركة. ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٥٦

عن الطرطوشي في العشر الأخير من شوال، وتم له ولأولاده ولنابه السماع..."[٣٩] ولم يكتف بالسماع بل حقق بزيارته هذه أهدافا أخرى تصب في الجانب الفكري والتعبوي كبنائه دارا للمغاربة، ومدرسة على ضريح المعظم تورانشاه[٤٠].

ونتيجة لهذا الاهتمام والتشجيع على العلوم الدينية وعظمة المرحلة التي تمر بها الأمة فقد شهدت الإسكندرية هجرة كثير من العلماء إليها حتى زخرت الإسنكدرية بالعلماء ممن برعوا في الحديث والفقه والقراءات فأسهموا في إعداد أبناء الأمة وتعبئتها للجهاد لمقاومة الفرنج فمنهم من نزلها وسمع فيها وغادرها فأفاد غيره في تلك المرحلة، ومنهم من استوطن فيها حتى وفاته فكانت فائدته أعظم ومنهم من كان من الإسكندرية أصلا، ومع ذلك فقد ساهم كل منهم في دعم الفكر السني وكذلك القائمين عليه في مقاومة المشروع الفرنجي-الصليبي لاحتلال المنطقة فبرز منهم: الإمام والفقيه أبو بكر المالكي الطرطوشي (ت٥٢٠هـ/١١٢٦م)[٤١] وابن اللقاط الطليطلي المقرى (ت٥٣٦هـ/١١٤١م)[٤٢] و الفقيه محمد بن أحمد بن موسى المرسي الوضاحي (ت٥٣٩هـ/١١٤٤)[٤٣] والمحدث أبو عبيد الغفاري (ت٥٦٣هـ/١١٦٧م)[٤٤] والمقري أبو الغنائم الإسكندراني (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م)[٤٥]

---

[٣٩] أبو شامة، الروضتين، ج٣، ص٥٩، انظر: أيضا، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ج٨، ق١، ص٤٢٧، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١١٢.

[٤٠] المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٧٦.

[٤١] محمد بن الوليد بن محمد بن أبي رندقة، ولد بطرطوشة وتوفي بثغر الإسكندرية. وكان قد رحل إليها عام (٤٧٦هـ/١٠٨٣م) وأقام فيها وتفقه على يديه أكثر رؤسائها. المقريزي، المقفى الكبير، مج١، ص٤٤٢-٤٤٨.

[٤٢] هو أبو الوليد إبراهيم بن محمد، قدم الإسكندرية وحدث بها، وكتب عنه السلفي. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج١، ص٣٦.

[٤٣] ولد عام (٥١٩هـ/١١٢٥م)، وسمع بالإسكندرية، وكتب عنه الحافظ السلفي وغيره من شيوخ الإسكندرية ثم رجع لبلده ومات بالمرية، كان فقيها فاضلا ثقة. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج١٥، ص٤٣. وممن زار الإسكندرية وسمع بها الحديث من الطاهر السلفي، ثم رجع لبلاده، محمد بن أحمد العبدري الأندلسي البلنسي. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج٥، ص٤٣.

[٤٤] هو نعمة بن زيادة بن خلف، كانت وفاته بالإسكندرية، وسمع صحيح البخاري بمكة روى عنه الكثير ومنهم قاضي الإسكندرية أبو القاسم عبد الرحمن بن سلامة القضاعي. انظر: تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١١، ص ٧٧٠.

[٤٥] هو سالم بن إبراهيم بن خلف، روى عنه أبي القاسم بن الفحام وكان شيخا صالحا ثقة. انظر الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١١، ص٧٧٥.

والفقيه المالكي السفاقسي الإسكندري (ت٥٦٤هـ/١١٦٨م)[٤٦]. ويلاحظ أن كثيرا من علماء الإسكندرية كانوا من أصل مغربي مما يثبت الدور الذي قاموا به في الجانب التعبوي والجهادي للإسكندرية وأهلها.

وكان ممن نزلها المقرئ أبو العباس بن الحطيئة اللخمي الفاسي (ت٥٦٠هـ/١١٦٤م)[٤٧] والمقرئ أبو القاسم الغافقي الخطيب (ت٥٦٩هـ/١١٧٣م)[٤٨] والمحدث أبو عبد الله البزاز المعروف بكاسات السراقسطي ت٥٨٨هـ/١١٩٢م[٤٩] والمحدث أبو إسحاق الأنصاري الأندلسي البلنسي المعروف بابن الحبيش (ت٥٩٠هـ/١١٩٤م)[٥٠] وأبو الحسين الشيرازي (ت٦٠٠هـ/١٢٠٣م)[٥١].

كما نشط بالإسكندرية عدد من العلماء الإسكندرانيين ممن ولدوا فيها ومنهم المحدث أبو عبد الله محمد بن الحسن الإسكندراني[٥٢] والإمام أبو طالب اللخمي المسمى خليفة (ت٥٧٨هـ/١١٨٢م)[٥٣] والفقيه أبو عبد الله الحضرمي الصقلي الأصل الإسكندراني

---

[٤٦] هو عبد السلام بن عتيق كان من علماء الثغر المذكورين. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١١، ص٧٧٩.

[٤٧] هو أحمد بن عبد الله، ولد بفاس ثم استوطن مصر، وكان شديدا وغليظا على الشيعة، وكان رأسا في القراءات، توفي بمصر، وعرض عليه القضاء بمصر فرفض، كان له علاقة بأبي القاسم بن الغمام بالإسكندرية قصده وقرأ بالروايات عليه، وقد حدث السلفي عنه مع أنه أكبر منه. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١١، ص٦٦٣-٦٦٥.

[٤٨] أحمد بن جعفر، توفي بالإسكندرية بعد أن نزل بها. أخذ عن الحافظ ابن المفضل وأبو القاسم الصفراوي. انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١١، ص٨٣٦.

[٤٩] هو محمد بن فرح، نزل الإسكندرية وتوفي بها وحدث فيها وصار أحد شهودها المعتدلين وأخذ عنه أبو طاهر السلفي وأثنى عليه. المقريزي، المقفى الكبير، مج٦، ص١٥٦.

[٥٠] قدم الإسكندرية وأقام بها وسمع من السلفي وأبي الطاهر بن عوف وغيره، وحدث بها، كان حافظا وقد كانت وفاته بالإسكندرية. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج١، ص٢٦٦.

[٥١] هو عبد الرحمن بن محمد بن مرشد بن منقذ ولد بشيزر، قدم القاهرة، ثم نزل الإسكندرية وسمع من السلفي، وغيره، وقد عمل مع السلطان صلاح الدين فقد أرسله السلطان برسالة إلى المغرب عند حصار عكا. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج٤، ص٣٧-٣٨.

[٥٢] عرف بابن التونسي ولد بثغر الإسكندرية عام (٥٣٦هـ/١١٤١م) ولم يعرف تاريخ وفاته. انظر: المقفى الكبير، مج٥، ص٢٢٣.

[٥٣] هو أحمد بن مسلم المطهر التنوخي، كان فقيها، ولد بالإسكندرية ومات فيها، وسمع من أبا بكر الطرطوشي، وغيره، وقيل أنه سير رسولا لملك الروم لأنه لم يكن في زمانه أكفئ منه. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج١، ص٥٢٣.

(ت٥٧٩هـ/١١٨٣م)[٥٤] والحافظ أبو الحسن اللخمي المقدسي الأصل الإسكندرني المولد والدار (ت٦١١هـ/١٢١٤م)[٥٥] والمقرئ أبو الفضل الهمداني الإسكندراني ت٦٣٦هـ/١٢٣٨م[٥٦].

جهود الإسكندرايين في مقاومة الفرنج والوزير شاور أثناء حصارهم لها عام ٥٦٢هـ/١١٦٦م:

شكلت الإسكندرية في مرحلة من مراحل الغزو الفرنجي لمصر، بؤرة نزاع وصراع وتحد واضحين بين الدولة الفاطمية والفرنج مجتمعين من جهة ممثلين بالوزير الفاطمي شاور والأمير أسد الدين شيركوه أحد أمراء الملك نور الدين محمود زنكي من جهة أخرى حينما أوكل إليه أمر الانتقام من الوزير شاور لخذلانه نور الدين والغدر به وذلك عام (٥٦٢هـ/١١٦٦م) حيث تقدم الأمير شيركوه لمصر وهزم الفرنج وشارور في الصعيد[٥٧] واستولى عليها ثم توجه للإسكندرية وتسلمها من غير قتال وقفل راجعا للصعيد مع أقوياء عسكره بعد أن ترك فيها ابن أخيه الأمير صلاح الدين يوسف-آنذاك-، فاجتمع فيها ضده عسكر مصر مع الفرنج فحصروه[٥٨] فيها لمدة استمرت ثلاثة شهور[٥٩]. واعتبرت خطوة

---

[٥٤] محمد بن عبد الرحمن، ولد بالإسكندرية وبرع في الفقه، ومات بالإسكندرية حيث ناب بالحكم بالإسكندرية. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج٥، ص٣٧٧.

[٥٥] هو علي بن الأنجب أبي المكارم المفضل بن أبي الحسن كان فقيها على مذهب الإمام مالك، وكان من أكابر الحفاظ المشاهير في الحديث، صحب أبا الطاهر السلفي وانتفع به، درس بمدرستها. انظر: ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج٢، ص١٣٨-١٣٩.

[٥٦] هو جعفر بن علي، ولد بالإسكندرية وسمع من الحافظ السلفي، وأبي الطاهر بن عوف. وقد حدث بمصر وبدمشق. انظر: المقريزي، المقفى الكبير، مج٢، ص٥٠٦.

[٥٧] ذكر المقريزي أنه في سنة اثنتين وستين وخمسمائة كانت وقعة البابين بين الوزير الفاطمي شاور وأسد الدين شيركوه، فانهزم عسكر شيركوه، ثم كانت لشيركوه على شاور. فانهزم منه للقاهرة، ومضى شيركوه للإسكندرية. انظر: المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ٣٢٣.

[٥٨] وعن حصار الفرنج وتركيز جهودهم في ذلك لمنع دخول الأقوات ومنع الاتصالات والمساعدات. انظر حبشي، حسن، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨م، ص١١٦؛ عمران، حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، ص١٤٧-١٥٤، الحياري، مصطفى، صلاح الدين القائد وعصره، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م، ص٨٤. وعن إجراءات الفرنج لمنع وصول المعونة والمساعدة للإسكندرية كوضع الأسطول كعائق في طريق وصول المساعدات، وكذلك تخريب القرى المحيطة بالإسكندرية، وعدم السماح لأحد بالدخول للمدينة أو الخروج منها بالبحر مدة شهر مما جعل شيركوه يخرج ويترك صلاح الدين مع ألف من العسكر انظر: وليم الصوري،

الأمير شيركوه هذه بإبقاء جزء من قواته مع ابن أخيه صلاح الدين في الإسكندرية وأخذه القسم الأكبر منهم خطوة محسوبة مكنته من الخروج من هذه الأزمة بسلام بأن خفف عن أهل الإسكندرية المؤونة التي سيحتاجها لقواته مما مكنهم من الصمود لمدة كافية حتى رجوعه ثانية وفكه الحصار عنها[٦٠].

لقد برزت مساهمة الإسكندرانيين واضحة بدءا من تسليمهم الإسكندرية للوزير شيركوه، ووقوفهم إلى جانب ابن أخيه صلاح الدين أثناء الحصار بصبرهم معه، والذي ترافق مع قلة الطعام والشراب حتى جاء عمه شيركوه منجدا ومساعدا له ومخلصا له منهم، بتوقيع صلح معهم[٦١].

أشارت المصادر أن تحرك الأمير شيركوه للإسكندرية لم يكن عشوائيا، بل كان سبقها مراسلات بينهما فقد كتب شيركوه قبل معركة البابين إلى أهل الإسكندرية يستنجد بهم على الفرنج وشاور لما قام به من إدخال الفرنج للبلاد وتضييعه أموال المسلمين فيهم، فقاموا معه، وأمَّروا عليهم نجم الدين بن مصال[٦٢]. ولم ينته الأمر عند هذا الحد بل إن أهل الإسكندرية

تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩١٣-٩١٦ Lane-Pool, Stanely, *A History of Egypt in the Middle Ages*, London, p.183.

[٥٩] ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٣٢٦؛ أبو شامة، الروضتين، مج٢، ص٦٦. أشار البنداري إلى أن الحصار استمر أربعة شهور. انظر: البنداري، قوام الدين الفتح بن علي، (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، سنا البرق الشامي، وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصبهاني، ق١، تحقيق رمضان ششن، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، ١٩٧١م، ص٦٤؛ أبو الفداء، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة، (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ط١، ٧ج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م، ج٣، ص٥٧.

[٦٠] الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ص٨٣.

[٦١] ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٣٢٦؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٦٦.

[٦٢] ابن مصال كان أحد أبناء الوزراء المصريين وقد جاء للإسكندرية مستخفيا، وظهر في هذه الفتنة، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٦٤-٦٥. ولم أجد له ترجمة لكنه كان والي الإسكندرية آنذاك، وقد نعته العماد الأصفهاني بالأمير الكبير نجم الدين بن مصال في كتابه البرق الشامي فذكر وفاته بمصر في الثاني عشر من جمادى الأولى من عام (٥٧٤هـ/١١٧٨م)، وكان صديقا للسلطان صلاح الدين نفسه لحزنه عليه عندما جاءه خبر وفاته وهو بحمص فقال لا يخلف الدهر مثله صديقا بعده. انظر: العماد الأصفهاني، البرق الشامي، ج٣، ص١٢٧-١٢٨، كان والده وزيرا للظافر العبيدي ويسمى بنجم الدين بن مصال، سليم بن محمد بن مصال وهو من بلدة لك ببرقة وتوفي (٥٤٤هـ/١١٤٩م). انظر: الصفدي، الوافي بالوفيات، مج١٢، ص٢٣٠. وانظر: عمران، حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، ص١٤٥.

كتبوا إلى شيركوه أنهم سيمدونه بالسلاح والحديد، وجهزوا له خزانة من السلاح[٦٣] مع ابن أخت الفقيه طاهر بن عوف[٦٤]، وحمل هذه الرسالة إلى شيركوه الإدريسي الشريف[٦٥] الذي كان مقيما بالإسكندرية عند محاصرتها لقول الإدريسي الشريف: "كنت بالإسكندرية يومئذ فكتب معي ابن مصال كتابا إلى أسد الدين، وقال لي: قل له بأني أخبرك أن السلاح واصل. وكان أنفذ لأسد الدين خزانة من السلاح، قال: فسبقتها بيومين، وحضرت بين يدي أسد الدين، وأعطيته الكتب، وشافهته برسالة ابن مصال في معنى السلاح والآلات، ثم وصلت الخزانة بعد يومين مع ابن أخت الفقيه ابن عوف..."[٦٦].

وقد فصل المقريزي في بيان حسن استقبال أهالي ثغر الإسكندرية، وزعمائها للوزير شيركوه وتقديم العون العسكري له ضد الفرنج وعلى رأسهم قاضي الثغر ووالية وناظره اللذان أبرزوا تحديا واضحا لشاور ومن معه لقوله: "فخرج إليه أهل الثغر وفيهم: نجم الدين محمد بن مصال والي الثغر وقاضيه الأشرف بن الخباب، وناظره[٦٧] القاضي الرشيد بن

---

[٦٣] جاء عند المقريزي نقلا عن ابن الطوير عن خزانة السلاح أن الخليفة الفاطمي كان يطوف في خزانة السلاح قبل جلوسه، ويتأمل ما فيها من الكراغندات، المدفونة بالزرد، والجواشن المبطنة، والزرديات السابلة برؤوسها والخوذ، والسيوف على اختلافها والرماح القنا، والأسنة البرجانية، والقسي لرماية اليد. المقريزي، الخطط المقريزية، ج٢، ص٣٠٥-٣٠٦. ويبدو أن مفهوم خزائن السلاح مفهوم كبير أشبه بمصانع السلاح في أيامنا هذه لقول ابن مماتي في تعريفه بأن خزائن السلاح لها مستخدمون يستدعون ما يحتاج له من خشب، وحديد وأصباغ وآلات يعملون ما يؤمرون به من آلات السلاح على اختلافها وأوصافها وتباين أصنافها. انظر: ابن مماتي، أسعد، (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، ط١، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م، ص٣٥٤.

[٦٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٣.

[٦٥] هو إدريس بن الحسن الإدريسي الحسني الإسكندري، ولد بمصر عام (٥٤٥هـ/١١٥٠م) وكان أديبا عالما بأيام العرب والتاريخ والأخبار وله مصنفات وروى عن العماد الأصفهاني وعن ابن أبي طيء، وكانت وفاته عام (٦١٠هـ/١٢١٤م) بحلب. انظر: ابن العديم، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٢مج، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت، مج٣، ص١٣٢٤-١٣٣٣.

[٦٦] انظر أبو شامة (رواية ابن أبي طي)، الروضتين، ج٢، ص٦٥، انظر: أيضا المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٣؛ عمران، حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، ص١٤٥.

[٦٧] أوضح ابن مماتي أن الناظر شخص يستظهر به على متولي الديوان، أو مشارف عمل وليس لإحدى مستخدميه أن ينفرد عنه بشيء من علم المنظور، ومن لوازمه أن يكون علمه محوطا بضبطه، محفوظا بخطه. ابن مماتي، قوانين الدولتين، ص٢٩٨.

الزبير[٦٨]، وسُرّوا بقدومه وسلموه المدينة، ثم سار منها يريد بلاد الصعيد واستخلف ابن أخيه صلاح الدين يوسف بن أيوب على الثغر في ألف فارس، فنزل عليه شاور، ومعه مُرِّي ملك الفرنج، فقام معه أهل الثغر واستعدوا لقتال شاور، فكان ما أخرجوه حوالي أربعة وعشرين ألف فرس"[٦٩]. أما الإدريسي الشريف فقد زاد عليها بإشارته لتضحيتهم بقوله: "ونزل الفرنج وشاور على الإسكندرية، وحاصروها ثلاثة أشهر بأشد القتال، وبذل أهلها في نصرة الملك الناصر أموالهم وأنفسهم، وقتل منهم جماعة عظيمة"[٧٠]. ولعل في هذا العدد من مقاتلة الإسكندرية وفرسانها لدليل واضح على حقيقة موقفهم، بالتصدي للفرنج بتسخير كل إمكانياتهم العسكرية لخدمته.

كما أبرز المقريزي والإدريسي الشريف دور متولي ديوان الإسكندرية القاضي ابن الزبير في دعم صلاح الدين الأيوبي ومؤازرته له ضد الفرنج وشاور الذي تمثل بحمله الأموال إليه وتقويته بالسلاح[٧١]. حيث أشار الإدريسي الشريف لذلك بقوله: "وسار أسد الدين من الفيوم إلى الإسكندرية فدخلها، ونزل القصر، وجعل فيه محبس الفرنج الذين أسرهم، وكان ابن الزبير متوليا ديوانها، فحمل إلى أسد الدين الأموال وقواه بالسلاح..."[٧٢]. وفي مساعدته هذه تأكيد على إنجاح المقاومة لضمان مستلزماتها من أمور مالية وإدارية متعلقة بالديوان.

لقد عكس إجماع أهل الإسكندرية على تنصيب نجم الدين ابن مصال أميرا وزعيما لهم في مقاومة الفرنج وشاور دلالات واضحة تتمثل بوحدة صفهم، واستعدادهم، ورفضهم

---

[٦٨] أبا الحسين أحمد بن علي بن إبراهيم بن الزبير الغساني الأسواني والأسواني نسبة لبلدة بالصعيد له كتاب بعنوان: "الجنان ورياض الأذهان"، وكان من أهل العلم والفقه والأدب والرياسة وقيل ولي النظر بالإسكندرية في الدواوين السلطانية بغير اختياره، عام (٥٥٩هـ/١١٦٤م) وقتل ظلما عام (٥٦٣هـ/١١٦٨م) وقيل أن الذي قتله شاور. انظر: المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٩، المقريزي، المقفى الكبير، مج١، ص٤١٩-٤٢٠؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٨٩-٩٠.

[٦٩] المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٣؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٣-٢٨٤. ويروي النويري رواية مخالفة تدل على مزيد من الاستعداد والإنفاق مع صلاح الدين لقوله: "فأخرج أهلها الأموال وأنفقوها واستعدوا للحصار، فكان في جملة ما أخرجوه للحصار أربعة وعشرون ألف قوس زنبورك ومايناسب ذلك من الآلات". النويري، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٣ج، تحقيق نجيب فواز وحكمت فواز، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م، ج٢٨، ص٢٢٢.

[٧٠] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٦٦.

[٧١] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٤.

[٧٢] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٦٥-٦٦.

الخضوع لشاور ومن معه في حين عكس إشراكهم الفقيه أبي طاهر بن عوف الزهري–وهو من كبار علماء الإسكندرية وأشهرهم–على التلاحم الواضح بين علماء الإسكندرية وأهلها وساستها في المقاومة ضد الفرنج والمتواطئين معهم، وتصميمهم على عدم الخضوع للفرنج أو الشيعة.

وقد علل سبب فتح أهل الإسكندرية أبواب مدينتهم لشيركوه وصلاح الدين لما كان يكنه أهلها من الكره للوزير شاور[٧٣] ولميلهم للسنة ضد الشيعة[٧٤] في حين رجح أبو شامة سبب صبر أهل الإسكندرية ومساعدتهم لصلاح الدين وعساكره وتقديمهم على شاور بأنه متأت من خوفهم على أنفسهم وعلى الإسكندرية من الفرنج لقوله: "وقد أعانهم أهلها خوفا من الفرنج، فاشتد الحصار وقل الطعام بالبلد، فصبر أهله على ذلك"[٧٥].

ومما يدل على تفاني أهل الإسكندرية ومساعدتهم للأمير صلاح الدين، رفضهم ما قدمه لهم الوزير شاور للتراجع عن نصرته، إذ وعدهم أن يضع عنهم المكوس والواجبات ويعطيهم الخمس إذا سلموه صلاح الدين، ولكنهم لم يستجيبوا له وصمموا على موقفهم بالتصدي له والوقوف مع صلاح الدين[٧٦] مما جعله يحاصرهم هم وصلاح الدين حتى قلت الأقوات عندهم[٧٧]. هذا وقد علل أحد الباحثين صمود صلاح الدين في الإسكندرية في وجه الفرنج والفاطميين، رغم قلة الإمكانيات، بأنه متأت من عوامل عدة كان من بينها حصانة المدينة ومناعتها بالإضافة لوقوف أهلها بكل طوائفهم من مسلمين ومسيحيين، وزاد عليهم تجارها

---

[٧٣] انظر: رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، مج٢، ص٦٠٦.

[٧٤] يقول ابن واصل: "قسلمها أهلها إليه لميلهم إلى مذهب السنة وكراهيتهم لرأي المصريين". ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص١٥١.

[٧٥] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٩، انظر: أيضا حبشي، نور الدين والصليبيين، ص١١٥.

[٧٦] وفي رواية أخرى أنهم امتنعوا وقالوا له: "معاذ الله أن نسلم المسلمين إلى الفرنج والإسماعيلية، فعند ذلك وقع الحصار واشتد على أهل الإسكندرية إلى أن قلت الأقوات". انظر: النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٢٢.

[٧٧] المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٣، أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٩. يقول أبو شامة: "وأما المصريون والفرنج..وحشدوا وساروا إلى الإسكندرية–وبها صلاح الدين–في عسكر يمنعونها منهم، وقد أعانهم أهلها خوفا من الفرنج، فاشتد الحصار وقل الطعام بالبلد، فصبر أهله عن ذلك".

الأجانب المقيمين في الإسكندرية حيث ساندوه مما انعكس أثره على الإسكندرية من بعدها حيث اهتم بأمرها عند توليه الحكم فيما بعد[٧٨].

على الرغم مما بذله أهل الإسكندرية في الدفاع عن مدينتهم وكذلك الأمير صلاح الدين وعساكره مع قلة عددهم إلا إنهم عانوا كثيرا نتيجة الحصار حتى أصبحوا في موقف حرج[٧٩] حتى وصل الأمر لمسامع شيركوه باشتداد الأمر على الإسكندرية وتأزم وضعها والمحاصرين فيها[٨٠]، فتوجه نحوهم لنجدتهم وفي ذلك الوقت وتبادلا الرسل للصلح[٨١] ووافق شيركوه على ذلك على أساس أن يجلو هو وعساكره عن مصر والفرنج كذلك ويعطوه مبلغا من المال على خسائره، مع قيام شاور بتقديم تعهدات بعدم التعرض لرعاياه من الإسكندرية بسوء، وغيرها من الجهات ممن ساندوا فيها صلاح الدين ووقفوا ضد الفرنج وشاور، فقبل بهذه الشروط، وعلى أثرها خرج صلاح الدين وجيشه من المدينة[٨٢]. وقد جاء في رواية الإدريسي الشريف أحد شهود العيان على هذه الحادثة بعض تفاصيل الصلح ومنها قوله: "فتقرر أمر الصلح على أن شاور يحمل إلى أسد الدين ما غرمه في هذه السفرة، ويعطي الفرنج ثلاثين ألف دينار، ويعود كل منهم إلى بلاده، وطلب صلاح الدين من ملك

---

[٧٨] عمران، حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، ص١٦١، انظر: أيضا سالم، عبد العزيز، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م، ص٦٤-٦٥.

[٧٩] أشار ابن واصل أن شاور حاول إفساد البعض على شيركوه، وهم التركمان وربما هذا السبب زاد من حرج المحاصرين. ابن واصل، مفرج الكروب، ج١، ص١٥١، انظر: أيضا أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٩.، ص٦٦. وعن تضجر بعض أهل الإسكندرية من الحصار والقتال ومن عسكر صلاح الدين الذين أسموهم بالغرباء والمآسي التي جلبوها والمناداة بطردهم من المدينة، والبحث عن اتفاق يعيد الأمور لما كانت عليه. انظر: وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩١٧.

[٨٠] نتيجة تضييق الحصار وإلحاق الأذى بالمدينة، وإرهاق أهلها، أثناء الهجوم عليها، شعر صلاح الدين بذلك فأرسل لعمه يشرح له الحال حيث الوضع البائس للمدينة وفقدان المؤونة ورغبة الناس بالتخلي عنها طالبا مساعدته. وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩١٧. أشار أبو شامة أن الفرنج والمصريين هم من راسلوا أسد الدين شيركوه للصلح وأنهم اضطروا له. انظر: أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٩.

[٨١] وعن وساطة السلام بين شيركوه والفرنج التي قام بها هيو صاحب قيسارية وأسير آخر هو أرنولف صاحب تل باشر والذين كانا محتجزين لدى شيركوه وعرضهم مطالب شيركوه على الملك، ثم حصلت موافقة الجميع عليها. انظر: وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩١٨-٩٢٠.

[٨٢] أبو شامة، الروضتين، مج٢، ص٦٦؛ المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٣-٣٢٤؛ رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، مج٢، ص٦٠٦.

الفرنج مراكب يحمل فيها الضعفاء من أصحابه، فأنفذ له عدة مراكب"[٨٣]. ووقع الحلف بالأيمان المؤكدة على ذلك[٨٤].

أما عن المصير الذي لاقاه أهل الإسكندرية، وزعماؤها-بعد دخول الوزير شاور إليها- نتيجة مناصرتهم للأمير صلاح الدين يوسف وعمه الأمير شيركوه فلم يكن محمودا بمجمله بل كان سيئا بجميع أحواله بداية، فقد طالتهم العقوبات جميعهم، ولكنها تراوحت بين القتل والتعذيب والنفي والإبعاد، والصفح عن بعضهم بعد إلحاح شديد من ملك الفرنج عموري الأول، وما كل ذلك إلا تعبيرا عن حجم المقاومة التي أبداها أهل الإسكندرية بجميع فئاتها الاجتماعية، وكان في مقدمة المعاقبين قاضي الثغر الأشرف بن الخباب (الحباب) حيث تم القبض عليه، وعوقب حتى فداه أهله بمال جزيل[٨٥]، أما والي الإسكندرية ابن مصال فقد تحدثت بعض الروايات أنه استتر عن شاور ثم فر إلى الشام[٨٦] وفي رواية أخرى أنه قبض عليه ولكنه عاد وعفا عنه بعد وساطة قام بها الملك مُرِّي (عموري الأول) عند شاور للعفو عنه[٨٧]. وقد كشف الإدريسي الشريف عن طبيعة وساطة الملك مُرِّي وتفاصيلها بإشارته أن شاور قبض على ابن مصال بعد خروج صلاح الدين فعلم صلاح الدين بذلك، وأبلغ ملك الفرنج وقال له: "إن شاور نقض الأيمان. قال: وكيف ذلك؟ قال: لأنه قبض على من لجأ إلينا. فقال: ليس له ذلك. وأنفذ إلى شاور وقال له: إن الأيمان جرت على ألا تعرض لأحد من أهل مصر ولا أهل الإسكندرية، وألزمه يمينا أخرى في ألا يعرض لأحد لجأ إلى أسد الدين أو صلاح الدين"[٨٨] وهذا يعني بصراحة أن صلاح الدين الأيوبي طلب من الملك إصدار أمر يمنع فيه شاور من التعرض لأهل الإسكندرية وذلك حسب الاتفاقية المبرمة[٨٩]. وأميل للقول أنه حتى بعد العفو لم يأمن عدد من كبار أهل الإسكندرية شر شاور فرحلوا لداخل مصر أو للشام أما أهل الشام فقد نجوا ورجعوا لبلادهم.

---

[٨٣] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٦٦؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٥.

[٨٤] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٥.

[٨٥] المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٤؛ المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٦.

[٨٦] المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٤.

[٨٧] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٦.

[٨٨] أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٦٦.

[٨٩] انظر: الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ص٨٦؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩٢٠.

أما فقيه الإسكندرية أبو الطاهر بن عوف، ومن معه فقد امتنعوا بالمنارة، حتى لاحقهم الوزير شاور وتمكن منهم فطلب منه ابن عوف العفو والمسامحة له ومن معه بقوله له: "أعذرنا يا أمير الجيوش وسامحنا بما فعلناه" ففعل وعفى عنهم[٩٠]، أما ناظر الإسكندرية القاضي الرشيد، فلم يكن حاله بأحسن من غيره بل تظهر روايات المقريزي التي تبين مصيره بأن دوره في التصدي للفرنج فاق كل الأدوار التي قام بها أعيان الإسكندرية وعلمائها الأمر الذي استوجب قتله من قبل شاور لقول المقريزي: "وولي نظر الإسكندرية فقتله شاور في المحرم، بسبب أنه داخل شيركوه وصلاح الدين وخدمهما بعد أن عذبه عذابا شديدا، ثم ضرب عنقه وكان ذلك عام (٥٦٣هـ/١١٦٧م)"[٩١]. في حين ترد إشارة أخرى أنه لم يتمكن منه بخروجه لرشيد[٩٢]. والأرجح أنه كان راغبا بقتله ولكن نتيجة العفو الذي حصل عليه أهل الإسكندرية بعد وساطة الملك مُرِّي لم يتمكن من قتله فقام الرشيد بالهرب إما خوفا أو لحصوله على العفو ثم تمكن من قتله ظلما بطريقة أو بأخرى.

والظاهر أن ما قام به الوزير شاور من ملاحقة لأهل الإسكندرية لم يرق للأمير صلاح الدين فما كان منه إلا أن اجتمع بالملك مُرِّي الذي بدوره أخذ يحث الوزير شاور على الإفراج عن كل الأسرى ويلزمه بالاتفاق حتى تم ذلك، ثم خرج إليهم شاور بنفسه وجمع وجوههم وطمأنهم، وحلف لهم أن يضاعف لهم الإحسان ولا يتعرض لهم بسوء، فمنهم من اطمان وأقام في البلاد، ومنهم من قرر الرحيل للشام[٩٣] وقد أكد الإدريسي الشريف حادثة رحيل بعض أهل الإسكندرية المعارضين للوزير شاور بعد أن طلب صلاح الدين من الفرنج بعد الصلح سفنا لنقل الضعفاء للشام إذ كان أحدهم لقوله: "وكنت في جملة من خرج في المراكب...فلما وصلنا إلى ميناء عكا أخذنا واعتقلنا في معصرة القصب إلى أن وصل الملك مُرِّي فأطلقنا، فخرجنا إلى دمشق"[٩٤].

---

[٩٠] المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٤.

[٩١] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٩؛ ابن خلكان، وفيات الأعيان، ج١، ص٨٩؛ المقريزي، المقفى الكبير، مج١، ص٤١٩-٤٢٠.

[٩٢] المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٤.

[٩٣] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٦.

[٩٤] أبو شامة، الروضتين، مج٢، ص٦٦. رنسيمان، تاريخ الحروب الصليبية، مج٢، ص٦٠٧. وقد تحدثت بعض الروايات على أن لقاء الملك مُرِّي مع صلاح الدين خصمه قاد لإعجاب كل منهما بالآخر، بدليل إمداده بالمراكب. انظر حبشي، نور الدين والصليبيين، ص١١٧.

وكان من ضمن الإجراءات الإدارية التي اتخذها الوزير شاور بالإسكندرية عقب تسلمه الإسكندرية خروج صلاح الدين وشيركوه منها عملية استبدال للولاة والقضاة الموالين له، فقد ولى القاضي الأشرف أبا القاسم عبد الرحمن بن منصور بن نجا ناظرا على الأموال، ثم بعد أن استتب الأمن منها خرج منها برفقة مُرِّي للقاهرة[٩٥].

كما عبر الحوار الذي جرى بين أهل الإسكندرية من أصحاب العلم والرياسة من جهة، والفرنج والوزير شاور من جهة أخرى وكذلك الإساءات المعنوية التي لاقوها منه وعدم رغبته باستقبالهم عما كان عليه أهل الإسكندرية من وحدة الصف والصرامة والشجاعة في مقاومتهم للغزاة الفرنج والوزير شاور وتحديهم لهما، فبعد خروج صلاح الدين منها ودخول شاور إليها جاءه مشايخ البلد للسلام عليه، والملك مُرِّي ملك الفرنج جالس معه، فلم ينظر شاور للجماعة ولا أكرمهم ولا حتى أذن لهم في الجلوس، لأنهم كانوا قاتلوه قتالا شديدا، إذ كان ناقما عليهم لذلك، وعندها تدخل الملك مُرِّي وقال له: "أكرم قُسُسك"[٩٦] فأذن لهم في الجلوس وعاتبهم على ما فعلوه معه من القتال ضده، وإظهار المخالفة فسكتوا[٩٧].

لم يكن موقف علماء الإسكندرية على سوية واحدة تجاه الوزير شاور بعد انتهاء حصار الإسكندرية وتسلمه لها، فقد استمر البعض في تحديهم له ومعارضتهم لتعاونه مع الغزاة الفرنج ضد أبناء جلدته من المسلمين وقد تمثل ذلك بموقف الفقيه شمس الإسلام أبو القاسم المالكي المعروف بابن جاره[٩٨] الذي أظهر جرأة في الرد على الوزير شاور بقوله له عندما عاتبهم على مخالفته وخروجهم على حكمه وقتاله بقوله له: "نحن نقاتل كل من جاء تحت الصليب كائنا ما كان"[٩٩]. ويبدو أن جرأة هذا الشيخ نالت إعجاب الملك مُرِّي مما دعاه للقول للوزير شاور: "وحق ديني لقد صدقك هذا الشيخ"، فسكت شاور وأكرمهم بعد ذلك اليوم"[١٠٠].

---

[٩٥] المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٤؛ المقريزي، المقفى الكبير، مج١، ص٤١٩-٤٢٠؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩٢١.

[٩٦] يقصد بها الشيوخ والفقهاء.

[٩٧] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٥.

[٩٨] هو مخلوف بن علي بن عبد الحق، التميمي الإسكندراني، كان على المذهب المالكي كان بارعا على المذهب، ومن شيوخه أبو اللحجاج اللخمي، ومحمد بن أبي سعيد الأندلسي، كان مدرسا، وقد انتفع منه الكثير، توفي بثغر الإسكندرية عام (٥٨٣هـ/١١٨٧م). انظر: الذهبي، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، مج١٢، سنة ٥٧١-٦١٠هـ، ص٢٢٢.

[٩٩] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٦.

[١٠٠] المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٢٨٦.

لم يكن المشهد العسكري الذي رآه الأمير صلاح الدين يوسف بالإسكندرية أثناء حصاره فيها ومقاتلة الفرنج والوزير شاور له بالأمر السهل بل كان مأساة حقيقية، بدليل رفضه بداية الرجوع لمصر مع عمه شيركوه عندما طلب منه الاستعداد للذهاب معه مرة أخرى، بقوله له: "والله لو أعطيت ملك مصر ما سرت إليها، فقد قاسيت بالإسكندرية ما لا أنساه أبدا"[١٠١]. وهذا يدل دلالة واضحة على صعوبة الموقف الذي كان به حيث شدة الحصار والمقاومة التي لاقاها هو وأهلها وكذلك المصير الدموي حيث المحاسبة والعقوبة، حتى أن صلاح الدين عانى هو الآخر من المصير نفسه بعد فتح المدينة للوزير شاور إذ طلب شاور من الملك مُرِّي تسليمه صلاح الدين وألح عليه بذلك ولكنه رفض طلبه، وقام بتسييره إلى عمه شيركوه من البحر على عكا بمن معه إلى دمشق[١٠٢]. وعلى الرغم مما عاناه صلاح الدين وأهلها في الإسكندرية خلال هذه الحادثة إلا أنه كان لها نتائج إيجابية ظهرت في وقت ليس بالبعيد. إذ كان لها أكبر الأثر في نهاية حكم وحياة الوزير شاور والخلافة الفاطمية من بعدها، تلاها قيام الدولة الأيوبية ورفعها راية الجهاد ضد الصليبيين في بلاد الشام[١٠٣].

مقاومة الإسكندرية وتصديها لأسطول صاحب صقلية عام ٥٧٠هـ/١١٧٤م:

كان موقع الإسكندرية-حيث تشكل واحدة من أهم موانئ مصر وثغورها-سببا مشجعا لغزوها عن طريق البحر، مما جعلها عرضة في كثير من الأحيان لأطماع الفرنج والنورمان فقد كان أهل الإسكندرية على موعد مع غزو أسطول صقلية لها عام (٥٧٠هـ/١١٧٤م)[١٠٤] وذلك إثر مراسلة بين عدد من مؤيدي الدولة الفاطمية، والمتعصبين لها مع الفرنج وملك صقلية النورماني بقصد إنجاح الثورة على السلطان صلاح الدين الأيوبي من الداخل، وقيام الفرنج والنورمان بغزو البلاد من الخارج، وبذلك يسقط السلطان صلاح الدين وينتهي حكمه، وقد عرفت تلك المؤامرة بالشيعية إلا إن السلطان كشفها قبل نجاحها[١٠٥] وقد عده أحد

---

[١٠١]أبو الفداء، المختصر في أخبار البشر، ج٣، ص٦٢.

[١٠٢]المقريزي، الخطط المقريزية، ج١، ص٣٢٤، انظر: النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٢٢.

[١٠٣]عمران، حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية (٥٦٢هـ/١١٦٧م)، ص١٦١-١٦٢.

[١٠٤]عن تفاصيل هذه الحملة ونزول أسطول الفرنج بصقلية على ثغر الإسكندرية، أو أسطول صقلية كما تسميه بعض المصادر انظر: ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢-٤١٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢١٩-٢٢١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١١-١٦؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦-٥٧؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٤٨-٤٩.

[١٠٥]انظر: تفاصيل المؤامرة الشيعية على صلاح الدين ودولته في مصر عام ٥٦٩هـ/١١٧٣م حيث دبرت دبرت المؤامرة في القاهرة، واشترك فيها جميع العناصر الناقمة على الوضع الجديد بقصد إحياء الخلافة

الباحثين هذه الحادثة من أبرز الأخطار التي واجهت صلاح الدين في الإسكندرية بعد سنتين من قضائه على الدولة الفاطمية واستقلاله بمصر[١٠٦]. في حين علل ابن شداد قصدهم لها لعلمهم بتغيّر الأحوال بمصر وبتقلباتها السياسية فزاد طمعهم بها فجردوا عساكرهم نحوها[١٠٧].

قام صاحب (ملك) صقلية وليم الثاني (William II) النورماني ابن وليم الأول بن روجار (Roger I) ملك صقلية[١٠٨] المعروف في المصادر الإسلامية بـــ غليالم بن غليالم بن رجار ملك صقلية[١٠٩] بتجهيز أسطوله الكبير وتوجه نحو الإسكندرية لمهاجمتها، والظاهر أنه لم يكن يعلم بأن خبر المؤامرة قد كشف من قبل صلاح الدين وأنه تم القبض على المتآمرين[١١٠] وكان أسطوله ضخما للغاية ومجهزا بأكبر وأضخم آلات الحرب ولوازمها ومشحونا بآلاف المشاة والفرسان[١١١]. في حين كان في مقابلهم القليل من عساكر المسلمين

الفاطمية، وإعادة الدولة العلوية، وكان من زعمائها الشاعر عمارة اليمني الذي كان متعصبا للفاطميين مع أنه كان سنيا، وضم المتآمرون: عبد الصمد الكاتب، والقاضي العوريس داعي الدعاة، وابن عبد القوي، وعدد من أتباع الفاطميين، وقد خطط المتآمرون بحيث يقوم الفرنج الصليبيون بغزو مصر في الوقت الذي يشعلون الثورة بالقاهرة فيسقط صلاح الدين ودولته، ولم يكتفوا بالاتصال بالملك عموري الأول ملك بيت المقدس، بل اتصلوا بوليم الثاني النورماندي ملك صقلية ليهاجم أسطوله الإسكندرية في نفس الوقت فتنجح الثورة، إلا إن صلاح الدين كشف أمرهم وأعدمهم. انظر: ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٣٩٨-٤٠١؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ١٨٥-١٩٦، عاشور، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ٢ج، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م، ج٢، ص٤٠٤-٤٠٦. انظر: أيضا Lane-Poole, *A History of Egypt*, pp.169-168.

[١٠٦]الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، ص٦٠.

[١٠٧]ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٤٨.

[١٠٨]ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٢ (حاشية التحقيق) ؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٠٥.

[١٠٩]ولي صقلية بعد أبيه في سنة ستين وخمسمائة، وكان صغيرا فكفلته أمه، كانت وفاته عام (٥٨١هـ/١١٨٥م). المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦-٥٧.

[١١٠]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤٠١؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٢.

[١١١]عن تفاصيل هذه الحملة ونزول أسطول الفرنج بصقلية على ثغر الإسكندرية، أو أسطول صقلية كما تسميه بعض المصادر انظر: ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢-٤١٤؛ أبو شامة، الروضتين، مج٢، ص٢١٩-٢٢١، ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١١-١٦؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦-٥٧. وقد أشار الشيال أن ملك صقلية قضى خمس سنين يعدد العدة لهذا الأسطول ليظهر قوته بمفرده مقابل المسلمين. انظر: الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، ص٦٢.

لقول البنداري: "وكان عسكر الوالي غائبا، ولم يحضر في ذلك اليوم إلا العدد القليل منه"[١١٢].

وصل الأسطول الصقلي إلى شواطئ الإسكندرية على غفلة من أهلها، إذ باغتهم النورمان مباغتة[١١٣] وكان ذلك في السادس والعشرين من ذي الحجة من عام (٥٦٩هـ/١١٧٤م)[١١٤] واستمر نزولهم من فترة ما قبل الظهر وحتى العصر مما يؤشر على عظمة أسطولهم وكثرة ما احتواه من السفن والمراكب والمعدات والتجهيزات، فقد بلغ عدد شوانيه[١١٥] مائتا شني تحمل الرجالة[١١٦] في كل شانية مائة وخمسون رجلا[١١٧] أما خيلهم فقد كان محمولا بطرائد[١١٨] بلغ عددهم ستة وثلاثين طريدة[١١٩]، وبلغ عدد خيلهم ألفاً وخمسمائة رأس[١٢٠]، وبدأوا بإنزال خيلهم ثم رجالهم بعد أن اقتربوا من سور الإسكندرية، فبلغ عدد الرجالة والفرسان منهم ثلاثون ألف مقاتل بين فارس وراجل[١٢١] وأجمعوا أن عدد فرسانهم ألف وخمسمائة فارس[١٢٢] واحتوى أسطولهم إضافة للخيل والرجالة ستة مراكب

---

[١١٢]البنداري، سنا البرق الشامي، ق١، ص١٧٠.

[١١٣]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٢؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٦٢.

[١١٤]أبو شامة، الروضتين، مج٢، ص٢١٩؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١١.

[١١٥]الشينية: سفينة حربية. وكان أسطول الفاطميين في مصر يزيد عن خمسة وسبعين شينيا مثالا. انظر: البقلي، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٣م ، ص٢١١.

[١١٦]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٢، ١-١٦؛ أبو شامة، الروضتين، مج٢، ص٢١٩؛ وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩٧٣.

[١١٧]ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٣؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦.

[١١٨]الطريدة من طرد طرده طرداً وطراً، وطرده وأطرده: أبعده ونحاه، وهو شريد طريد، ومشرد مطرد. وطرد العدو طريدة وطرائد وهي النعم يغير عليها فيطردها. وفي الأرض طرائد من كلإ. وبريَ القدح بالطريدة وهي السفن، والمسفن أيضاً ما ينحت به. وطرّد سوطه: مدّه. وطارد قرنه، وتطاردا، وبينهما طراد ومطاردة وهي حمل أحدهما على صاحبه ومقاتلته كما قيل للمحاربة. الزمخشري، جار الله أبو القاسم محمود بن عمران، (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، أساس البلاغة، ٢ج، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م، ج٢، ص٦٦-٦٧.

[١١٩]ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٣؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٦٢.

[١٢٠]ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٣؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ق١، ص١٧٠.

[١٢١]ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٢؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦.

[١٢٢]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٣.

كبار تحمل آلة الحرب والحصار من الأخشاب الكبار وغيرها[١٢٣] ومراكب الأزواد التي بلغت أربعون مركبا وتضم من جملة ما تحمله رجال ذوي صنائع متفرقة كالغلمان المشرفين على الخيل، وصناعة المراكب وأبراج الزحف والدبابات[١٢٤] حتى بلغ عدد الرجالة خمسون ألفا[١٢٥].

تقدم الأسطول الصقلي للإسكندرية، وكان يقوده ابن عم صاحب ملك صقلية واسمه (أكيم موذقة) Akim-Moudhaka [١٢٦] وخرج أهل الإسكندرية فور مشاهدته بسلاحهم وعدتهم ليمنعوهم من النزول، وأبعدوا عن البلد بداية، فمنعهم الوالي عليهم من ذلك، وأمرهم بملازمة السور، حتى تمكن الأسطول وما فيه من النزول للبر مما يلي البحر والمنارة، وحملوا على المسلمين حملة أوصلتهم للسور، وفقد (أهل الإسكندرية) خلالها سبعمائة نفس[١٢٧] واستشهد منهم محمود بن البصارو بسهم[١٢٨]. وأثناء تقدمهم للميناء بمراكبهم، كان هناك مراكب مقاتلة ومسافرة للمسلمين، فسبقهم المسلمون إليها فخسفوها وغرقوها، وغلبوهم على أخذها، وأحرقوا بعضها، حتى لا يستحوذ عليها الفرنج ويستغلوها، واستمر القتال حتى المساء، حيث غلبوا على البر، وضربوا خيامهم، وخيموا به حتى بلغ عدد خيامهم ثلاثمائة خيمة[١٢٩].

---

[١٢٣]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٣؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ق١، ص١٧١.

[١٢٤]الدبابة: آلة تتخذ من جلود وخشب يدخل فيها الرجال ويقربونها من الحصن المحاصر لينقبوه وتقيهم ما يرمون به من فوقهم. ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، ١٥ج، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٨٥م، ج١، ص٣٧١.

[١٢٥]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٣؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢١٩؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٦٢.

[١٢٦]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢؛ المقريزي، السلوك، ج١، ص٥٦.

[١٢٧]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٢؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٤. ويرد عند أبي شامة والمقريزي أن عدد الشهداء بهذه الحملة سبعة أنفس. انظر: أبو شامة، الروضتين، ج١، ص٢١٩؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦. وربما أن عدد الشهداء بأنهم سبعة هو الأقرب لواقع الهجوم حيث يستبعد مقتل سبعمائة شخص عند أول نزول الفرنج خاصة أن عدد العساكر المقاتلة قليلة أصلا وكذلك الأهالي.

[١٢٨]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢١٩.

[١٢٩]ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٤؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢١٩.

أما في صبيحة اليوم الثاني من قتالهم فقد زحفوا لحصار البلد، ونصبوا عليها ثلاثة دبابات بكباشها[١٣٠]، وثلاثة مجانيق كبار تضرب حجارة سوداء عظيمة، استصحبوها معهم من صقلية، وقد تعجب أهل الإسكندرية من شدتها وعظم إثر حجارتها، أما الدبابات فكانت تشبه الأبراج في جفاء أخشابها وارتفاعها وكثرة مقاتلتها، وزحفوا بها حتى قاربوا السور[١٣١]. وفي هذا يصف العماد الأصفهاني ما كان عليه هول الحال عند سور الإسكندرية لكبر حجم دباباتهم وشدة مجانيقهم لقوله: "وضربت المنجنيقات وزاحمت السور إلى أن صارت منه بمقدار آماج البحر وآهاج الدور"[١٣٢]. وقد قاتل أهل الإسكندرية في هذا اليوم بشدة، وصبروا على شدة الفرنج وحصارهم البلدة لقول ابن الأثير "وصبر لهم أهل البلد، ولم يكن عندهم من العسكر إلا القليل، ورأى الفرنج من شجاعة أهل الإسكندرية، ومن سلاحهم وما راعوهم"[١٣٣] وتزامن صبرهم وقتالهم في هذا اليوم مع مجيء مساندة من العساكر القريبة[١٣٤] من الإسكندرية فقويت بهم نفوسهم، وأحسنوا القتال والصبر[١٣٥].

ويبدو أن أهل الإسكندرية ذهبوا لاستخدام سياسة وخطة جديدة في قتال الفرنج في اليوم الثالث من المنازلة معهم تمثلت بفتح أبواب البلدة أمامهم ثم الانقضاض عليهم والاشتباك معهم لقول العماد الأصفهاني في رسالة صلاح الدين الأيوبي التي وجهها لبعض أمراء الشام شارحا الحال في الإسكندرية عند الهجوم: "فاتفق أصحابنا على أن يفتحوا أبوابا قبالتها من السور، ويتركوها معلقة كالقشور، ثم فتحوا الأبواب على غفلة، وخرجوا منها على غرَّة"[١٣٦] وفي هذه الأثناء خرج الأمراء وكثر الصياح من جميع الجهات لجمع أهل الثغر، فتكاثروا على الفرنج وبدأوا بقتالهم، وقاموا بحرق دباباتهم المنصوبة وقاتلوهم أشد قتال، وصدقوا القتال في ذلك، حتى أنزل الله سبحانه النصر عليهم واستمر القتال حتى العصر حيث ظهرت على

---

[١٣٠]الكباش: آلة من آلات الحرب كانت تستعمل في الحصار وتقذف على جدران الحصون فكأنها كبش ينطح. ابن منظور، لسان العرب، ج٦، ص٣٣٩.

[١٣١]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٠؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٦-٥٧.

[١٣٢]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٥.

[١٣٣]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٣.

[١٣٤]ورد الخبر للسلطان صلاح الدين وهو بفاقوس يوم الثلاثاء ثالث نزول العدو "فاستنهضنا العساكر إلى الثغرين: الإسكندرية ودمياط. عندنا الأميران بدر الدين أيوب، وفارس الدين تميرك، فسبقا إلى الإسكندرية برجالهما، وانضاف إليهما من كان في إقطاعه بالبحيرة المجاورة للإسكندرية من المفاريد وغيرهم". البنداري، سنا البرق الشامي، ق١، ص١٧٢.

[١٣٥]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٣.

[١٣٦]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٠.

الفرنج علامات الفتور الكبير في القتال، حيث أعطبت كثير من آلات القتال عندهم، وقد بدت عليهم علامات الفشل، وعندها ذهب المسلمون لصلاة العصر[١٣٧].

هذا وقد وصفت حالة الفرنج والمسلمين عقب هجوم المسلمين عليهم حيث أشار ابن واصل أن المسلمون كانوا على نية المباكرة، أي بنية الاستمرار في قتال المسلمين بعد وقت، في حين كان الفرنج على نية الهرب[١٣٨] في حين بانت على أهل الإسكندرية علامات النصر لقول ابن الأثير: "فأنزل الله نصره عليهم، وظهرت إماراته، ولم يزالوا مستبشرون بما رأوا من تباشير الظفر وقوتهم وفشل الفرنج وفتور حربهم، وكثرة القتل والجراح في رجالتهم"[١٣٩].

وفي اليوم الثالث للقتال وبعد العصر تحديدا، كان أهل الإسكندرية قد رجعوا عن قتال الفرنج بعد انتصارهم عليهم فجاء الخبر بوصول صلاح الدين وعساكره، فشحذ هممهم، فعادوا للقتال متناسين ما صابهم من تعب وجراحات وفي هذا يقول ابن الأثير: "وكل منهم يظن أن صلاح الدين معه، فهو يقاتل قتال من يريد أن يشاهد قتاله"[١٤٠]، أما الفرنج فقد كان خبر وصول صلاح الدين على مسامعهم شديد الوقع، سيء الأثر على عزائمهم فازدادوا تعبا وفتورا". فهاجمهم المسلمون عند حلول الظلام بغتة، فوصلوا خيامهم، وغنموا كل ما فيها من الأسلحة الكثيرة، وكثر القتل في صفوفهم، فهرب كثير منهم للبحر، وقربوا سفنهم منها ليركبوها فسلم بعضهم وغرق بعضهم وقد تمكن المسلمون من إغراق شوانيهم، فخاف الباقون لما رأوا ذلك فولوا هاربين[١٤١]. في هذا يقول ابن واصل أنهم قتلوا من الفرنج من الرجالة ما لا يحصى[١٤٢] وقد جاء وصفهم عندما هاجمهم المسلمون ليلا في رواية العماد الأصفهاني في رسالة صلاح الدين لأحد أمراء الشام بقوله: "ثم كر المسلمون عليهم بغتة وقد كاد يختلط الظلام، فهاجموهم في الخيام، فتسلموهما بما فيها، وفتكوا في الرجالة أعظم فتك، وتسلموا الخيالة، ولم يسلم منهم إلا من نزع لبسه، ورمى في البحر نفسه، وتقحم أصحابنا في البحر على بعض المراكب فخسفوها وأتلفوها، فولت بقية المراكب هاربة...وبقي العدو بين قتل

---

[١٣٧]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٠؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٥؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٥٧.

[١٣٨]ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٥.

[١٣٩]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٣.

[١٤٠]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٣.

[١٤١]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٤؛ النويري، نهاية الأرب، ج٢٨، ص٢٦٢.

[١٤٢]ابن واصل، مفرج، ج٢، ص١٥.

وغرق، وأسر وفرق،..."[١٤٣] واحتمى ثلاثمائة فارس منهم في تل جبل، فأخذت خيولهم فقتل المسلمون فقتلوا بعضهم وأسروا بعضهم، وأخذوا بعض أسلحتهم ما لا يملك مثله، حتى أقلع الأسطول بكليته عن ثغر الإسكندرية في مستهل شهر محرم في سنة ٥٧٠هـ/١١٧٤م[١٤٤].

لقد فشلت هذه الحملة ولم تحقق أهدافها، وعاد الفرنج خاسرين لقول ابن شداد: "عادوا خائبين خاسرين بعد أن ضايقوا الثغر وزحفوا عليه ثلاثة أيام، وقاتلوا قتالا شديدا، وعصمه الله منهم"[١٤٥]. كما اعترف وليم الصوري بهذه الخسارة بقوله: "وقد تكبدت جميع قوات المشاة المشاة والفرسان خسائر كبيرة بالموت والأسر خلال الإقامة التي استغرقت خمسة أو ستة أيام أمام المدينة، وذلك بسبب فقدان الحذر"[١٤٦]. وزاد من خسارتهم بشكل أكبر أن الملك عموري الأول لم يتقدم في البر كما كان الاتفاق بسبب القضاء على المتآمرين بحزم[١٤٧]. وقد اعتبر الفشل الذريع لأسطول صقلية نصرا لصلاح الدين دعّم به حكمه ومكانته على شواطيءالاسكندرية وشمال مصر[١٤٨].

الأهمية العسكرية للإسكندرية وتحصيناتها في عهد السلطان صلاح الدين الأيوبي:

لقد كانت الإسكندرية وترتيب أمورها، واستغلال موقعها على رأس أولويات السلطان صلاح الدين، فكانت في خلده وتفكيره منذ توليه السلطة في مصر بعد سقوط الدولة الفاطمية وحتى قبلها، أي منذ توليه الوزارة، مما يدل دلالة واضحة على أهميتها من الناحيتين العسكرية والإدارية، وذلك حماية للدولة من الأعداء من جهة، واتخاذها منطلقا نحو الخارج لمقارعة الأعداء، الذين يفكرون باحتلال مصر وغيرها عن طريق البحر. فقد دلت أفعاله وزياراته لها على ما كان لهذه المدينة من وجهة نظره من أهمية بالغة حيث حرص على زيارتها بين الحين والآخر أو كلما دعت الحاجة لذلك، نظرا لأهمية موقعها وما تشكله من ثقل ومكان استراتيجي يعود بالنفع والقوة على الدولة، فكانت أولى زياراته لها في شعبان من عام (٥٦٦هـ/١١٧٠م). كما أشار العماد الأصفهاني إليها حيث سار إليها ليشاهدها ويرتب

---

[١٤٣]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٢٠.

[١٤٤]ابن الأثير، الكامل، مج١١، ص٤١٤؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص١٦؛ أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢١٩-٢٢٠.

[١٤٥]ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص٤٩؛ عاشور، الحركة الصليبية، ج٢، ص٧٠٨.

[١٤٦]وليم الصوري، تاريخ الحروب الصليبية، ج٥، ص٩٧٣.

[١٤٧]الحياري، صلاح الدين القائد وعصره، ص١٧٢.

[١٤٨]قاسم، قاسم عبده، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٥م، ص٣٤.

قواعدها إذ أمر أثنائها بعمارة أسوارها، وأبراجها وأبدانها[١٤٩]. ويرى أحد الباحثين أن تلك المتابعات العسكرية كانت تصب في باب تدعيم مركزه وسلطانه بمصر[١٥٠].

يضاف للأهمية السابقة للإسكندرية عند صلاح الدين أنه غالبا ما كانت قراراته العسكرية الهامة المتعلقة بالدولة ما يكون اتخاذها في الإسكندرية ومنها ما حصل عام (٥٦٧هـ/١١٧١م) عندما ضاق الأمر به واحتاج إلى الأموال لتسيير أمور الدولة ففكر بالتوجه للإسكندرية وتوجه فعلا وعقد هنالك مجلسا للشورى للمشاورة في أمر التوجه للمغرب من عدمه لقول المقريزي "وسبب خروجه إليها كثرة رجاله وقلة أمواله حيث ضاق به التدبير فقيل له إن في بلاد برقة أموالا متسعة فخرج لذلك، ونزل الإسكندرية وهناك عقد مشورة حضرها أبوه نجم الدين أيوب، وشهاب الدين الحارمي، وتقي الدين عمر لمشاورتهم في المسير إلى بلاد المغرب، كما كوتب من بمصر والقاهرة من الجند بالحضور..."[١٥١].

وقد أشار العماد الأصفهاني وأشاد بالإجراءات التي قام بها السلطان صلاح الدين بالإسكندرية بعد رجوعه من الشام لمصر وذلك في شهر ربيع الأول من عام (٥٧٢هـ/١١٧٦م) فبعد أن اطمأن على استتباب الأمن بدمشق عاد لمصر ودخل القاهرة في السادس عشر من ربيع الأول[١٥٢] حيث خرج بعدها من القاهرة لدمياط والإسكندرية في شعبان من نفس العام، فمر بدمياط أولا وكان بها سبايا جلبها الأسطول ثم كان الوصول لثغر الإسكندرية، وكان برفقته ولديه الأفضل نور الدين علي، والعزيز عماد الدين عثمان، والعماد الأصفهاني، حيث كان مروره على الشيخ الحافظ أبي طاهر السلفي للسماع ثم كان الأمر المتعلق بالتحصينات العسكرية حيث شاهد السلطان ما استجد من السور الدائر، وما أبقاه من حسن الآثار والمآثر، ولم ينصرف حتى أمر بإتمام الثُغور وتعمير الأسطول[١٥٣].

وقد فصل ابن أبي طيء في تفاصيل تلك الرحلة للإسكندرية وتلك الإجراءات العسكرية والإدارية المتخذة وخاصة المتعلقة منها ببناء الأسطول حيث أشار عن الغاية من تلك الإقامة

---

[١٤٩]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ١١٨؛ البنداري، سنا البرق الشامي، ق١، ص١٠٩؛ سالم، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي، ص٦٦، وفي هذا يقول المقريزي: "ثم سار إلى الإسكندرية لمشاهدة سورها وترتيب أمورها، فدخلها وأمر بإصلاح السور والأبراج، فعمر ما تهدم منه". المقريزي، اتعاظ الحنفا، ج٣، ص٣٢٠.

[١٥٠]قاسم، في تاريخ الايوبيين والمماليك، ص٣٤.

[١٥١]المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٤٨.

[١٥٢]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٨٦-٢٨٩.

[١٥٣]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٩٤-٢٩٥؛ المقريزي، السلوك، ج١، ق١، ص٦٣.

بالإسكندرية وكيفية استغلال السلطان لها حيث استغل إقامته بها بعمل يكون فيه الأجر والثواب والمقصد قاصدا بذلك التحضير لجهاد الكفار حيث رأى إصلاح السفن المهترئة وإعادة تعمير الأسطول وتأمينه بكل لوازم بنائه من خشب وصناع وغيره، ونقل كل أنواع الأسلحة إليه لقوله: "ولما نوى السلطان المقام بالإسكندرية ليصوم فيها رأى أنه لا يخلي نفسه من ثواب يقوم له مقام القصد إلى بلاد الكفار والجهاد في المشركين، فرأى الأسطول وقد أخلقت سفنه وتغيرت آلاته، فأمر بتعمير الأسطول وجمع له من الأخشاب والصناع أشياء كثيرة، ولما تم عمل المراكب أمر بحمل الآلات، فنقل من السلاح، والعدد ما يحتاج الأسطول إليه وشحنه بالرجال، وولى فيه أحد أصحابه وأفرد له إقطاعا مخصوصا وديوانا مفردا، وكتب إلى سائر البلاد المصرية بقبول قول صاحب الأسطول، وأن لا يمنع من أخذ رجاله وما يحتاج إليه، وأمر صاحب الأسطول أن لا يبارح البحر ويغزي إلى جزائر البحر"[١٥٤]. وقد كان لهذا الإجراء العسكري ضرورة لتامين الحدود البرية والبحرية لمصر من وجهة نظر صلاح الدين[١٥٥].

ولعل في إصلاحات السلطان صلاح الدين هذه الهندسية والعسكرية لذلك الأسطول دليلا واضحا على نواياه وخططه المستقبلية لخوض معارك مع الفرنج الصليبيين ولإدراكه أهمية الدفاع عن الشواطئ المصرية وحاجتها لأسطول متكامل وقوي قادر على رد الأعداء، كما اعتبر مؤشرا بالغ الأهمية للدور الملقى على الإسكندرية وقائد أسطولها أو ما سماه بصاحب الأسطول حيث اشترط عليه شروطا، وأعطاه صلاحيات واسعة بأن جعل إقامته في الإسكندرية دائمة، ومنحه حرية استدعاء الجند وطلب السلاح وغيره من أي مسؤول في الدولة[١٥٦] وهذا يعني أنه سهل مهامه، وهذا أمر بالغ الأهمية في العرف العسكري والمالي، أما فيما يتعلق بتخصيص مورد خاص له من المال (إقطاعا)، فهذا يعني أيضا أن وراء هذا التكليف وهذه المخصصات تبعات ومهام جسام وخطيرة متعلقة بهذا الأسطول تتمثل بالدفاع عن الدولة ضد الأعداء. وبلغ من عناية صلاح الدين بالأسطول أن عهد بديوانه إلى أخيه الملك العادل في سنة (٥٨٧هـ/١١٩١م) وخصص للصرف عليه أبوابا كثيرة من إيرادات الدولة[١٥٧].

---

[١٥٤]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٩٥؛ سعداوي، نظير حسان، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، د. ط، مكتبة النهضة المصرية، القاهرة، ١٩٥٧م، ص١٠٨-١٠٩.

[١٥٥]انظر قاسم، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، ص٤٣-٤٤.

[١٥٦]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٩٧؛ سعداوي، التاريخ الحربي المصري، ص١٠٩.

[١٥٧]الشيال، تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، ص٦٤.

وقد أثبت أسطول الإسكندرية عمليا فاعليته، إذ تمكن من إلحاق الأذى بالأعداء، وبرز ذلك بأسره عددا منهم حتى تغنى الشعراء ومنهم الشاعر أبو علي الحسين بن عبد الله بن رواحة[١٥٨] بأسطول الإسكندرية، وبالسلطان صلاح الدين، وحدث ذلك بعد رجوع السلطان للقاهرة، وعزمه الخروج للقاء العدو في غزّة حيث خرج لمرج فاقوس[١٥٩] لقضاء بعض الوقت بالصيد والقنص والتطلع لأخبار الفرنج لانتهاز الفرص، وأثناء وجوده هناك جاءته الأخبار بما جاءت به الأساطيل من ثغري الإسكندرية ودمياط بسبي الكفار والتي زادت عن ألف رأس من الأسرى، حيث أنشد الشاعر ابن رواحة هناك

لقد جَلَب الجواريَ بالجواري ... يَمِدن بكل قدٍّ مُرجَحنّ
يزيدهم اجتماع الشَّمل بُؤساً ... فمرنانٌ تنوحُ على مُرِنّ
زَهتْ إسكندّرية يوم سِيقُوا ... ودمياط فما مُنيا بغَبنِ[١٦٠]

مساهمة ثغر الإسكندرية في الدعم العسكري والمادي لجيش صلاح الدين الأيوبي:

ساهم ثغر الإسكندرية في الدعم العسكري والمادي بشكل هام ورئيس أثناء الصراع الصليبي الإسلامي في القرن السادس الهجري/الثاني عشر الميلادي في دعم المقاتلين المسلمين على الجبهة الشامية أثناء حصار عكا عام ٥٨٦هـ/١١٩٠م بمدهم بالسلاح، والمؤونة بعد أن قلت الميرة عنهم، حيث اضطر السلطان صلاح الدين إثر نقصان الأقوات والميرة لإرسال رسالة لنوابه بالإسكندرية طالبا منهم الدعم[١٦١] بتجهيز ثلاث بطس مشحونة

---

[١٥٨]هو الفقيه أبو علي جمال الدين الحسين بن الشيخ أبي محمد عبد الله بن الحسين بن رواحة ولد بحماة ونشأ بها، وصفه بأنه رجل عالم وفاضل ترك حماه، وانتقل لمصر فكان له بها مكانة عظيمة عند الخليفة العاضد، أسره الفرنج من البحر، ثم أطلقوا سراحه، استشهد بعكا. انظر: ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء، المعروف بإرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، د. ط، ٢٠ج، مطبوعات دار المأمون، (د. م)، (د. ت)، ج١، ص٤٦؛ ابن واصل، مفرج الكروب، ج٢، ص٣٠١.

[١٥٩]اسم مدينة في حوف مصر الشرقي من مصر إلى مشتول ثمانية عشر ميلا ومن مشتول إلى سفط طرابيه ثمانية عشر ميلا ومنها إلى مدينة فاقوس ثمانية عشر ميلا وهي في آخر ديار مصر من جهة الشام في الحوض الأقصى. ياقوت الحموي، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم البلدان، ٤ مجلدات، ٨ أجزاء، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م، مج٣، ج٦، ص٤١٢.

[١٦٠]أبو شامة، الروضتين، ج٢، ص٢٩٧.

[١٦١]ابن الأثير، الكامل، مج١٢، ص٥٢؛ ابن شداد، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية، ص١٣٨؛ الأصفهاني، الأصفهاني، عماد الدين الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، حروب صلاح

بالأقوات والإدام، والمير، وجميع ما يحتاج إليه في الحصار بحيث يكفيهم ذلك طوال الشتاء، وحصل أن أقلعت هذه السفن من مصر فعلا ولكنها تأخرت في طريقها لعكا مما اضطر السلطان لطلب المدد من بيروت حتى تم له ذلك لقول العماد الأصفهاني في ذلك: "كان السلطان قد أمر نواب الإسكندرية بتجهيز بطس كبار وتعميرها من كل ميرة وغلّة، وتسييرها إلى عكا، فأبطأت عن الميقات، وأضرَّ بالمقيمين بالبلد إعواز الأقوات، فأكفر فيما يتعجل به الغرض، فكتب إلى متولي بيروت عز الدين أسامة، فجهز بطسة كبيرة ملأها ميرة وغلة كثيرة..."[١٦٢]. وفي هذا دلالة واضحة على أهمية الإسكندرية ومقوماتها المتمثلة بدعم جيش المسلمين المرابط لقتال الفرنج في عكا حيث الدعم بالغذاء والعدد وغيرها من لوازم الحرب.

هذا وقد كانت الإسكندرية حاضرة في كتابات القاضي الفاضل ورسائله، ومنها تلك الرسالة التي بعث بها لصلاح الدين مواسيا وناصحا لتأخر وصول المؤونة والميرة حيث كان القاضي الفاضل بالديار المصرية يرتب إمدادات الجيش الإسلامي المتجهة لعكا بقوله: "وبينا نحن نعتقد أن البطس في عكا وصل الخبر بأنها في دمياط..وكتب البطائق بالاستحثاث والاستعجال وتحذيرهم من تمادي المقام، وما تيقنا أخرجت أم هي باقية، كأن الريح في بيت ما خرجت من هاتين الجمعتين، ولها من تاريخ خروجها من الإسكندرية إلى تاريخ تسطير هذه الخدمة خمسة عشر يوما"[١٦٣].

الخاتمة:

كشفت هذه الدراسة عن صورة بارزة من صور التلاحم بين الاتجاهين الفكري والعسكري لواحدة من أهم مدن العالم الإسلامي التي استهدفها الغزاة الفرنج في تلك الفترة، إذ شكلت عنصرا هاما من ركائز تلك الحقبة الخطيرة، مبينة أهمية ذلك التلازم، وكان علماء الإسكندرية ومؤازروهم من متنفذي الدولة الفاطمية أبطال ذلك المشهد بما ساهموا به من اهتمام وإبراز للعلوم الدينية، التي تعد شريانا للصمود والمقاومة فكان دورهم الفاعل والمؤثر، فدرسوا وخرجوا أجيالا من العلماء والقضاة والساسة والعسكر ممن أدركوا أهمية الوحدة المذهبية والسياسية لدحر الفرنج فحملوا فكرا ساعدهم على مقاومة الفرنج ومن والاهم، وعكس أولئك العلماء بعلمهم وتفانيهم وجهدهم صورة ناصعة للوعي الفكري والتعبوي،

الدين وفتح بيت المقدس والمسمى الفتح القسي في الفتح القدسي، ط١، قدم له ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م، ص٢٥٠.

[١٦٢]أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص٩١؛ العماد الأصفهاني، الفتح القسي في الفتح القدسي، ص٢٤٩-٢٥٠.

[١٦٣]أبو شامة، الروضتين، ج٤، ص١٠٣.

وأهميته في تلك الظروف فأقبلوا على الإسكندرية حتى ضمت بين ثناياها المغربي والأندلسي والفارسي والشامي والإسكندراني، فكانت حاضنة للفكر السني. ومقاومة للفكر الشيعي. كما عكست الدراسة ما كانت عليه الإسكندرية من وحدة الصف بين إدارتها وساستها. وعلمائها وقادة الرأي فيها، تجسد بصمودها وتحديها للفاطميين والفرنج أثناء حصارهم للإسكندرية عام (٥٦٢هـ/١١٦٦م). والتي أتت أكلها بقيام دولة صلاح الدين الأيوبي وتصدره مشهد المقاومة للغزاة الفرنج فكانت أنموذجا مصريا وإسلاميا حيا للمقاومة، وتكرر دورها ثانية عند غزو ملك النورمان بأسطوله عام (٥٧٠هـ/١١٧٤م) حيث أفشلت مخطط الشيعة والفرنج. في حين شكل الحرص والحكمة لدى قادة المسلمين المتمثل بشيركوه وصلاح الدين مثالا للتحدي والصمود والصبر فكانوا رموزا للمقاومة التي شهدتها الإسكندرية عبر مراحلها حتى فترة الدراسة، وبقيت الشغل الشاغل للقائد صلاح الدين وتجسد ذلك بتحصينه لها وتعمير أسطولها لتكون الإسكندرية سدا منيعا في وجه الفرنج وداعما للجيش الإسلامي وقت الحاجة فكانت كما خطط لها وأرادها.

قائمة المصادر والمراجع

أولاً. المصادر العربية:

- **ابن الأثير**، أبو الحسن عز الدين علي بن أبي الكرم محمد بن عبد الكريم الشيباني، (ت٦٣٠هـ/١٢٣٢م)، التاريخ الباهر في الدولة الأتابكية بالموصل، د. ط، تحقيق عبد القادر أحمد طليمات، دار الكتب الحديثة، القاهرة، ومكتبة المثنى، بغداد، ١٩٦٣م.
- الكامل في التاريخ، ١٢ج، دار صادر، بيروت، دار بيروت، بيروت، ١٩٦٦م.
- **الأصفهاني**، عماد الدين الكاتب أبو عبد الله محمد بن محمد بن حامد، (ت٥٩٧هـ/١٢٠١م)، البرق الشامي، ٢ج، ط١، مج٣، تحقيق مصطفى الحياري، مؤسسة عبد الحميد شومان، عمان، الأردن، ١٩٨٧م.
- حروب صلاح الدين وفتح بيت المقدس والمسمى الفتح القسي في الفتح القدسي، ط١، قدم له ووضع حواشيه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
- **البنداري**، قوام الدين الفتح بن علي، (ت٦٤٢هـ/١٢٤٤م)، سنا البرق الشامي، وهو مختصر البرق الشامي للعماد الأصبهاني، ق١، تحقيق رمضان ششن، ط١، دار الكتاب الجديد، بيروت، لبنان، ١٩٧١م.
- **ابن جبير**، أبو الحسن محمد بن أحمد الكناني، (ت٦١٤هـ/١٢١٧م)، رحلة ابن جبير، د. ط، دار صادر، بيروت، لبنان، (د. ت).
- **ابن خلكان**، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر، (ت٦٨١هـ/١٢٨٢م)، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان، ٤ج، تحقيق محمد عبد الرحمن المرعشلي، دار إحياء التراث العربي ومؤسسة التاريخ العربي، بيروت، لبنان، ١٩٩٧م.
- **الذهبي**، شمس الدين محمد بن أحمد بن عثمان، (ت١١٤٨هـ/١٣٤٧م)، تاريخ الإسلام ووفيات المشاهير والأعلام، ط١، ١٥ج، تحقيق مصطفى عبد القادر عطا، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٥م.
- **ابن رجب**، زين الدين أبي الفرج عبد الرحمن بن شهاب، (ت٧٩٥هـ/١٣٩٢م)، الذيل على طبقات الحنابلة، د. ط، ٢ج، وقف على طبعه وصححه محمد حامد الفقي، مطبعة السنة المحمدية، القاهرة، ١٩٥٢م.
- **الزمخشري**، جار الله أبو القاسم محمود بن عمران، (ت ٥٣٨هـ/١١٤٣م)، أساس البلاغة، ٢ج، ط٣، الهيئة المصرية العامة للكتاب، ١٩٨٥م.

- **سبط ابن الجوزي**، شمس الدين أبي المظفر يوسف بن قزاوغلي التركي، (ت٦٥٤هـ/١٢٥٦م)، مرآة الزمان في تاريخ الأعيان، ط١، ج٨، ق١، مطبعة مجلس دائرة المعارف العثمانية، حيدر أباد الدكن، الهند، ١٩٥١-١٩٥٢م.
- **السبكي**، تاج الدين أبي نصر عبد الوهاب بن علي، (ت٧٧١هـ/١٣٦٩م)، طبقات الشافعية الكبرى، ط١، ٨ج، تحقيق عبد الفتاح الحلو، ومحمود الطناجي، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، ١٩٦٤م.
- **أبو شامة**، شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي، (ت٦٦٥هـ/١٢٦٦م)، تراجم رجال القرنين السادس والسابع المعروف بالذيل على الروضتين، ط١، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
--------الروضتين في أخبار الدولتين النورية والصلاحية، ط١، ٤ج، وضع حواشيه وعلق عليه إبراهيم شمس الدين، دار الكتب العلمية، بيروت، لبنان، ٢٠٠٢م.
- **ابن شداد**، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع بن تميم، (ت٦٣٢هـ/١٢٣٤م)، النوادر السلطانية والمحاسن اليوسفية أو سيرة صلاح الدين، تحقيق جمال الدين الشيال، ط١، المؤسسة المصرية العامة للتأليف، مصر، ١٩٦٤م.
- **الصفدي**، صلاح الدين خليل بن أيبك، (ت٧٦٤هـ/١٣٦٢م)، الوافي بالوفيات، ٢٤مج، تحقيق أبو عبد الله جلال الأسيوطي، ط١، دار الكتب العلمية، لبنان، ٢٠١٠م.
- **ابن العديم**، كمال الدين عمر بن أحمد بن أبي جرادة، (ت٦٦٠هـ/١٢٦١م)، بغية الطلب في تاريخ حلب، ١٢مج، تحقيق سهيل زكار، دار الفكر للطباعة، بيروت.
- **ابن عساكر**، أبو القاسم علي بن الحسين، (ت٥٧١هـ/١١٧٥م)، أربعون حديثا في الجهاد، تحقيق أحمد عبد الكريم حلواني، دار الفداء للدراسات، دمشق، ١٩٩١م.
-------- تاريخ مدينة دمشق وذكر فضلها وتسمية من حلها من الأماثل أو اجتاز بنواحيها من وارديها وأهلها، د. ط، مج١، تحقيق صلاح الدين المنجد، مطبوعات المجمع العلمي العربي، دمشق، ١٩٥١م.
- **أبو الفداء**، الملك المؤيد عماد الدين إسماعيل بن علي صاحب حماة، (ت٧٣٢هـ/١٣٣١م)، المختصر في أخبار البشر، ط١، ٧ج، دار المعارف، القاهرة، ١٩٩٩م.
- **المقريزي**، تقي الدين أبي العباس أحمد بن علي بن عبد القادر العبيدي، (ت٨٤٥هـ/١٤٤١م)، اتعاظ الحنفا بأخبار الأئمة الفاطميين الخلفا، ٣ج، تحقيق محمد حلمي، المجلس الأعلى للشؤون الإسلامية، مصر، القاهرة، ١٩٧٣م.

----------تاريخ المقريزي المسمى المقفى الكبير، ط١، ٦مج، تحقيق محمد عثمان، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠١٠م.
----------السلوك لمعرفة دول الملوك، ج١، ق١، دار الكتب المصرية، ١٩٣٤م.
----------المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار المعروف بالخطط المقريزية، ٤ج، ط١، وضع حواشيه خليل المنصور، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ١٩٩٨م.

- **ابن مماتي**، أسعد، (ت٦٠٦هـ/١٢٠٩م)، قوانين الدواوين، جمعه وحققه عزيز سوريال عطية، ط١، نشر مكتبة مدبولي، القاهرة، ١٩٩١م.
- **ابن منظور**، محمد بن مكرم بن علي أبو الفضل جمال الدين الأنصاري الرويفعي الإفريقي (ت٧١١هـ/١٣١١م)، لسان العرب، ط٣، ١٥ج، دار صادر، بيروت، ١٤١٤هـ/١٩٨٥م.
- **ابن ميسر**، تاج الدين محمد بن علي بن يوسف بن جلب راغب، (ت٦٧٧هـ/١٢٧٨م)، المنتقى من أخبار مصر، انتقاه تقي الدين أحمد بن علي المقريزي، د. ط، حققه ووضع حواشيه وفهارسه أيمن فؤاد السيد، المعهد العلمي الفرنسي للآثار الشرقية، القاهرة، ١٩٨١م.
- **النويري**، شهاب الدين أحمد بن عبد الوهاب، (ت٧٣٣هـ/١٣٣٣م)، نهاية الأرب في فنون الأدب، ٣٣ج، تحقيق نجيب فواز وحكمت فواز، ط١، منشورات محمد علي بيضون، دار الكتب العلمية، بيروت، ٢٠٠٤م.
- **ابن واصل**، جمال الدين محمد بن سالم، (ت٦٩٧هـ/١٢٩٧م)، مفرج الكروب في أخبار بني أيوب، ٥ج، ج١، تحقيق جمال الدين الشيال، د. ن، الإسكندرية، ١٩٦٠م، ج٢، تحقيق جمال الدين الشيال، المطبعة الأميرية، القاهرة، ١٩٥٧م.
- **ياقوت الحموي**، الإمام شهاب الدين أبو عبد الله ياقوت بن عبد الله، (ت٦٢٦هـ/١٢٢٨م)، معجم الأدباء، المعروف بإرشاد الأديب إلى معرفة الأديب، د. ط، ٢٠ج، مطبوعات دار المأمون، (د. م)، (د. ت).
---------- معجم البلدان، ٤ مجلدات، ٨ أجزاء، ط١، دار إحياء التراث العربي، بيروت، ٢٠٠٨م.

ثانياً. المصادر المعربة:

- **وليم الصوري**، تاريخ الحروب الصليبية، (الأعمال المنجزة فيما وراء البحار)، ٦ج، ط١، نقله إلى العربية وقدم له سهيل زكار، دار الفكر، دار نوبليس، دمشق، ١٩٩١م.

ثالثاً: المراجع العربية:

- **بدوي**، عبد المجيد أبو الفتوح، التاريخ السياسي والفكري للمذهب السني في المشرق الإسلامي من القرن الخامس الهجري حتى سقوط بغداد، ط٢، دار الوفاء للطباعة والنشر والتوزيع، المنصورة، ١٩٨٨م.
- **البقلي**، محمد قنديل، التعريف بمصطلحات صبح الأعشى، د. ط، الهيئة المصرية العامة للكتاب، مصر، ١٩٩٣م.
- **البواعنة**، لؤي، دور العلماء المسلمين في مقاومة الغزو الفرنجي (الصليبي) للمشرق الإسلامي ٤٩٠-٦٤٨هـ/١٠٩٧-١٢٥٠م، ط١، دار اليازوري العلمية للنشر والتوزيع، عمان، الأردن، ٢٠٠٧م.
- **حبشي**، حسن، نور الدين والصليبيون، دار الفكر العربي، القاهرة، ١٩٤٨م.
- **الحياري**، مصطفى، صلاح الدين القائد وعصره، ط١، دار الغرب الإسلامي، بيروت، ١٩٩٤م.
- **الدجاني**، هادية، القاضي الفاضل عبد الرحيم البيساني العسقلاني ٥٢٦-٥٩٦هـ/١١٣١-١١٩٩م، ط٢، مؤسسة الدراسات الفلسطينية، بيروت، ١٩٩٩م.
- **سالم**، عبد العزيز، تاريخ الإسكندرية وحضارتها في العصر الإسلامي حتى الفتح العثماني، ط١، دار المعارف، مصر، ١٩٦١م.
- **سعداوي**، نظير حسان، التاريخ الحربي المصري في عهد صلاح الدين الأيوبي، د. ط، مكتبة الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ١٩٥٧م.
- **سيد**، أحمد فؤاد، تاريخ مصر الإسلامية زمن سلاطين بني أيوب ٥٦٧-٦٤٨هـ، ط١، مكتبة مدبولي، القاهرة، ٢٠٠٢م.
- **الشيال**، جمال الدين، أعلام الإسكندرية في العصر الإسلامي، مصر، ١٩٦٥م.
- تاريخ مدينة الإسكندرية في العصر الإسلامي، دار المعارف، القاهرة، ١٩٦٦م.
- أول أستاذ لأول مدرسة في الإسكندرية الإسلامية، مجلة كلية الآداب، جامعة الإسكندرية، مج١١، مصر، ١٩٥٧م.
- **عاشور**، سعيد عبد الفتاح، الحركة الصليبية صفحة مشرقة في تاريخ الجهاد العربي في العصور الوسطى، ٢ج، ط٣، مكتبة الأنجلو المصرية، القاهرة، ١٩٧٦م.
- **عمران**، محمود سعيد، حصار الصليبيين والقوات الفاطمية لصلاح الدين في مدينة الإسكندرية ٥٦٢هـ/١١٦٧م، ضمن أعمال ندوة بعنوان سواحل مصر الشمالية عبر

العصور والتي أقامتها لجنة التاريخ والآثار بالمجلس الأعلى للثقافة بالاشتراك مع كلية الآداب، جامعة الإسكندرية في يومي ٢٢ و٢٣ أبريل ١٩٩٨م، إعداد عبد العظيم رمضان، طبع الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، ٢٠٠١م.

- **قاسم**، قاسم عبده، في تاريخ الأيوبيين والمماليك، عين للدراسات والبحوث الإنسانية والاجتماعية، مصر، ٢٠٠٥م.
- **الكيلاني**، ماجد عرسان، هكذا ظهر جيل صلاح الدين وهكذا عادت القدس، ط٥، دار الفرقان، عمان، ٢٠٠٨م.
- **يوسف**، نقولا، أعلام من الإسكندرية، دار المعارف، الإسكندرية، ١٩٦٩م.

رابعاً. المراجع المعرّبة:

- **رنسيمان**، ستيفن، تاريخ الحروب الصليبية، ط٣، ٣مج، مج٢، نقله للعربية السيد الباز العريني، دار الثقافة، بيروت، ١٩٩٣م.

خامساً. المراجع الأجنبية:

- **Lane-Pool**, Stanely, *A History of Egypt in the Middle Ages*, London, Frank Gass, and Company Limited.
- **Elisseeff**, Nikta, Damas a-et le djihad contre les Croises (Damas) Serie Mon De-H. S. N 65-Janvier, Paris, Less Edition Autrement, 1993.